بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠

سبحات
في
تفسير سورة النازعات
دراسة تحليلية

إعداد

د/ عاطف محمد محمود الخولي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

مقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾(٢)وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين،

أما بعد ،

فيقول الله – تبارك وتعالى:- ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٣)

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التى تحدى بها الله – عز وجل – الخلق جميعاً، وما زال هذا التحدى من يوم نزوله قائماً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، يقول الله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤)

وهو آخر الكتب السماوية ، والمعجزة الكبرى ، والنعمة العظمى التى أنعم الله بها على عباده إلى يوم الدين ، ومن فضل وشرف هذا القرآن كونه من الملك الأعلى إلى خير الخلق ، بسفارة روح القدس ، مشتملاً على العلوم المهمة لإصلاح المعاش والمعاد ، وهو غذاء العقول ، ومصدر الأنوار الإلهية ، ومعين الهداية ، وشمس السعادة.

وقد حث الله – عز وجل – على تدبر القرآن فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

(١) الكهف: ١ – ٣
(٢) فاطر: ٣٢
(٣) الواقعة: ٧٧ – ٨٠
(٤) البقرة: ٢٣ – ٢٤

ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]

ولا ريب أن هذا التدبر من أشرف القربات وأجلها ، ومن هنا أعمل العلماء عقولهم في تدبر كتاب الله فخرجوا لنا التفاسير الجمة التى شرفت وزخرت بها المكتبة الإسلامية، فعلم التفسير من أشرف، وأفضل العلوم المتعلقة مباشرة بالقرآن الكريم لأن العلم يشرف بشرف موضوعه ، وموضوع علم التفسير هو كتاب الله، وكلام الله – عز وجل – ، من أجْل هذا كله فإن العيش في ظلال ورحاب القرآن الكريم نعمة عظيمة ، لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة تُبارك العمر وتُزكيه.

← لذا أحببت أن أعيش في ظلال القرآن الكريم متدبراً له ، فقمت وشرعت في تفسير سورة النازعات ، لأكتب فيها بحثاً علمياً جاء تحت عنوان: (سُبحات في تفسير سورة النازعات)

ومن المعلوم أن القرآن الكريم بعضه مكى ، وبعضه مدنى ، ويمثل كل قسم من قسميه مرحلة هامة من مراحل الدعوة إلى الله.

وسورة النازعات إحدى السور المكية التى تتحدث عن بعض وظائف الملائكة الكرام، وبيان موقف المشتركين من البعث وإنكارهم له ، وإقامة الأدلة والبراهين على وقوعه، والحديث عن الساعة، وجزاء المؤمنين والكافرين في هذا اليوم

فهذه دراسة تحليلة موجزة لهذه السورة الكريمة ، داعياً الله – عز وجل – أن يوفقنى في هذا العمل لإبراز بعض ما تضمنته من عظات وعبر ، وما بينته من معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة.

---

(1) النساء: ٨٢
(2) ص: ٢٩
(3) محمد: ٢٤.

كما أسأله سبحانه أن يوفق أمة الإيمان أن تستمد منهجاً من السورة الكريمة، وأن ينفع بهذا العمل كل مطلع عليه ، وأن يتقبله بقبول حسن ، إنه أكرم مسئول ، وأعز مأمول.

← وقد اقتضت ضرورة هذا العمل أن أقسمه إلى مقدمة ، وتمهيد ، وستة مباحث ، وخاتمة.

← أما المقدمة: فقد تناولت فيها الحديث عن بعض صفات القرآن الكريم ، وفضل تدبره ، كما تضمنت هذه المقدمة ما يلى:-

منهاج البحث والدراسة

يتمثل منهاجى في هذا البحث على النحو التالى:-

أولاً:- ذكر مجموعة من الآيات التى ذات صلة بموضوع معين ، مع وضع عنوان يناسب تلك المجموعة من الآيات.

ثانياً:- بيان مناسبة هذه الآيات لما قبلها ، حتى أستطيع ربط الآيات ببعضها ، وإظهار صلتها وتآخيها ، وذلك مما يمهد للدراسة الموضوعية للسورة.

رابعاً:- بيان المباحث العربية من لغة ، وإعراب ، وبلاغة.

خامساً:- بيان القراءات الواردة في الآيات مع توثيقها من الكتب المعتمدة.

سادساً:- ذكر الشرح والتفسير للآيات قدر استطاعتى.

سابعاً:- بيان المعنى الإجمالى للآيات.

ثامناً:- الحرص على تخريج الأحاديث الواردة في البحث ، فإن كان الحديث في الصحيحين فإنى أكتفى بهما ، فإن لم يكن فيهما أو فى أحدهما خرّجت الحديث من مظانه مع بيان حكم العلماء عليه.

تاسعاً:- التعريف ببعض الأعلام ، والأماكن ، والمعانى الغريبة الواردة بالبحث.

عاشراً:- تذييل البحث بفهرس المراجع ، والفهرس العام للموضوعات.

خطة البحث والدراسة

اقتضت خطة البحث أن أقسمه إلى ستة مباحث جاءت على النحو التالى:-

المبحث الأول:- القسم والمقسم عليه من خلال السورة الكريمة

المبحث الثانى:- إثبات البعث وبيان موقف المشركين منه

المبحث الثالث:- قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون

المبحث الرابع:- إقامة الأدلة على إثبات البعث وبيان بعض مظاهر قدرة الله ونعمه على خلقه.

المبحث الخامس:- الحديث عن يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب

المبحث السادس:- سؤال المشركين عن الساعة وميقاتها

← وأما التمهيد: فيشتمل على التعريف بالسورة الكريمة، ويتضمن ما يلى:

أولاً:- مناسبة السورة لما قبلها. ثانياً:- أسماء السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة ، وكلماتها، وحروفها ، وترتيبها في المصحف.

رابعاً:- نوع السورة. خامساً:- أغراض وأهداف السورة.

← وأما الخاتمة – نسأل الله حسنها – فتشتمل على خلاصة البحث ونتائجه،،، وبعد :

فهذه نبذة موجزة، وإطلالة سريعة على أهم ما تضّمنه هذا البحث، والله أسأل أن يَمُن علىّ بالتوفيق، وأن يشرح لى صدرى، وأن ييسر لى أمرى وأن يهدينى سواء السبيل فإنه لا هداية إلا بنوره، ولا توفيق إلا بتدبيره، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتى، وأن يتجاوز عن سيئاتى، وأن يُقيل عثراتى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ عاطف محمد الخولى
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

التمهيد

ويشتمل على ما يلى:-

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها :

أما عن وجه المناسبة بين سورة النازعات وما قبلها وهى سورة النبأ فأقول:- بأن بينهما ارتباطاً وثيقاً ، فقد تحدثت سورة النبأ عن البعث ووقوعه ، وإقامة الحجج والبراهين على إثباته ، كما أنها تحدثت عن منكرى البعث وبيان مآلهم يوم القيامة ، وجزاء الموقنين بوقوعه ، ثم الحديث في عجز السورة عما يقع في يوم القيامة ، وتعظيم شأنه إذ جاء فيها: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ونظر المرء ما قدمت يداه يبدأ من حالة خروج الروح من الجسد ، ومن هنا بدأت سورة النازعات بالحديث عن الملائكة التى تقوم بنزع الروح أو نشطها من الجسد مقسماً بها على إثبات البعث وأنه حق لا ريب فيه.

← وقد تحدث عن المناسبة بين السورتين الإمام البقاعى – رحمه الله – حيث قال:

" لمّا ذكر سبحانه يوم يقوم الروح ويتمنى الكافر العدم ، أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذى ذكره بأيدى الملائكة – عليهم السلام – على ما يتأثر عنه من البعث ، وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون ، فقال تعالى: {والنازعات} " [2]

← كما عقد المناسبة بين السورتين الإمام الألوسي – رحمه الله – قائلاً:-

" وأولها يشبه أن يكون قسماً لتحقيق ما في آخر عمّ، أو ما تضمنته كلها، وفى البحر: لما ذكر سبحانه في آخر ما قبلها الإنذار بالعذاب يوم القيامة،

---

(1) النبأ: ٤٠

(2) انظر : نظم الدر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى ٣١٧/٩ ط : – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

أقسم عز وجل في هذه على البعث يوم القيامة" [١]

ثانياً: نوع السورة :

جرى الخلاف بين العلماء حول مكية بعض السور ، ومدينتها ، إلا أن سورة النازعات لم يجْر أى خلاف حول مكيتها ، فهى مكية بإجماع العلماء.

← وحول مكية السورة قال الإمام الألوسى – رحمه الله – :-

" وهى مكية بالإتفاق" [٢]

← وقال الإمام ابن الجوزى – رحمه الله – : " مكية كلها بإجماعهم" [٣]

ثالثاً: أسماء السورة :

بالتحقيق نجد أن المفسرين قد انقسموا تجاه اسم هذه السورة الكريمة إلى فريقين:

← الفريق الأول:- ذهب إلى إلى أن اسمها "النازعات" بدون واو ، ومنهم الإمام الطبرى[٤] ، والواحدى[٥] ، والبغوى[٦] ، والقرطبى[٧] ، والشوكانى[٨] وغيرهم[٩].

---

(١) انظر: روح المعانى في تفسير القرآن والسبع المثانى، للإمام محمود الألوسى، أبو الفضل ٢٢/٣٠ – ط: دار إحياء التراث العربى – بيروت ، البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ٤١٨/٨ ط : دار الفكر ١٤١٣ – ١٩٩٢م .

(٢)انظر : روح المعانى ٣٠ / ٢٢

(٣)انظر : زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ١٤/٩ ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

(٤)انظر : جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جريد بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبرى ٢٤ / ١٨٣ – ت : أحمد محمد شاكر – ط : مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .

(٥)انظر : الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى ٤٢٤/٢

(٦)انظر : معالم التنزيل، لمحى السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوى ٣٢٠/٨ – ت: محمد عبد الله النمر ، ط :دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الرابعة ١٤١٧ه ١٩٩٧م .

(٧)انظر : الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ١٨٣/١٩ ، ط : دار الحديث – القاهرة.

(٨)انظر : فتح القدير الجامع بين فتى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى ٤١١/٧، ط : دار الفكر – بيروت .

(٩)انظر : روح المعانى ٢٢/٣٠ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادى أبو السعود ٩٥/٩ ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت .

← الفريق الثانى:- ذهب إلى أن اسمها "والنازعات" بجعل الواو جزءاً من اسم السورة ، ومنهم الإمام الزمخشرى " [١].

** وبعد ذِكر مذاهب العلماء تجاه اسم النازعات عَلَماً على هذه السورة الكريمة أرجح ما ذهب إليه أصحاب الفريق الأول ، وذلك لسببين:-

* الأول:- أن هذا الاسم ما ذهب إليه جمهرة المفسرين.

* الثانى:- ما أورده الإمام السيوطى – رحمه الله – في تفسيره قائلاً:-

" عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: نزلت سورة النازعات بمكة" [٢].

بدون ذكر الواو.

← وعما ورد في هذه السورة من أسماء مجمعة قال الإمام الطاهر بن عاشور – رحمه الله:- " سميت في المصاحف وأكثر التفاسير "سورة النازعات" بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو ، جعل لفظ النازعات علماً عليها لأنه لم يذكر في غيرها ، وعُنْونت في كتاب التفسير من "صحيح البخارى" وفي كثير من كتب المفسرين بسورة "والنازعات" بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها.

وقيل: إنها تسمى سورة "الساهرة" لوقوع لفظ الساهرة في أثنائها ولم يقع في غيرها من السور.

وقيل: إنها تسمى سورة "الطامة" لوقوع لفظ الطامة فيها ولم يقع في غيرها ، ولم يذكرها في "الإتقان" [٣] في عداد السور التى لها أكثر من اسم" [٤]

← كما ذكر تسمية السورة بالساهرة، والطامة الإمام الألوسى – رحمه الله – [٥]

---

(١)انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ٦٩٣/٤ ، ت : عبد الرزاق المهدى ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت .

(٢)انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ٤٠٣/٨ ، ، ط : دار الفكر – بيروت ١٩٩٣ .

(٣)انظر : الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ١٥٩/١ ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط : دار التراث ـ القاهرة .

(٤)انظر : التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور ٥٤٣٠، ط : مؤسسة التاريخ العربى – بيروت – الأولى ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م .

(٥)انظر : روح المعانى ٢٢/٣٠

رابعاً: عدد حروفها وكلماتها وترتيبها في المصحف :

← أما عن عدد حروفها فقال العلماء:

" حروفها: سبعمائة وثلاثة وخمسون " [١]

← وعن عدد كلماتها فقالوا: " كلمها: مائة وتسع وسبعون " [٢]

← وأما عن ترتيبها في المصحف ، فقال الإمام الألوسى – رحمه الله –:

" عن ابن عباس – رضى الله عنها – :أنها نزلت عقب سورة عم" [٣]

* وعن هذا الترتيب قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله – :–

" وهى معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النزول ، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار" [٤].

خامساً: عدد آيات السورة :

اختلف العلماء في تحديد عدد آيات سورة النازعات

← فقد قال الشيخ الطوسى – رحمه الله –:"وهى ست وأربعون في الكوفى، وخمس وأربعون في البصرى والمدنيين"[٥] ، وبنحوه قال الإمام الألوسى – رحمه الله– [٦]

← ومنهم من عدّها ست وأربعون آية قولاً واحداً، كالإمام البغوى[٧]، والنسفى[٨] – – عليهما رحمة الله –.

← ومن المفسرين من ذكر بأن عدد آياتها خمس وأربعون آية ، كالإمام

---

(١)انظر : البيان في عدد آى القرآن، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الأموى الدانى ، صـ٢٦٣، ت : غانم قدورى الحمد ، ط : مركز المحفوظات والتراث – الكويت ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م – الأولى ، الكشف والبيان، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النسيابورى ١٢٢/١٠ ، ت: الإمام أبى محمد بن عاشور ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – الأولى ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م .

(٢)انظر : ما سبق من مصادر .

(٣)انظر : روح المعانى ٢٢/٣

(٤)انظر : التحرير والتنوير ٥٣/٣٠

(٥) انظر : التبيان في تفسير القرآن، لأبى جعفر محمد بن الحسين الطوسى ٢٥٢/١٠ ، ت ت : أحمد حبيب قصير العاملى ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.

(٦) انظر : روح المعانى ٢٢/٣٠.

(٧) انظر : معالم التنزيل ٢٣٠/٨.

(٨) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ٢٥٥/٤ ، ت : مروان محمد الشعار ، ط : دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥م .

الزمخشرى[١] – رحمه الله –

← ومنهم من ذكر الأمرين دون الجزم بأحدهما كالإمام البيضاوى[٢]، والشوكانى[٣] – رحمها الله – .

منشأ الخلاف في عدد آيات السورة

يرجع اختلاف العلماء في تحديد عدد آيات سورة النازعات إلى طريقة عد الآيات عندهم ، فمن عدّ آية قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾[٤]وما بعدها آية آية واحدة ، فالعدد عنده خمس وأربعون آية ، ومن عدها آية وما بعدها آية أخرى فالعدد عنده ست وأربعون آية ، وأيضاً من عدّ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾[٥]وما بعدها آية واحدة فالعدد عنده خمس وأربعون ، ومن عدها آية وما بعدها آية أخرى فالعدد عنده ست وأربعون آية.

← وفى هذا الصدد يقول الإمام أبو عمرو الدانى– رحمه لله – :–

" وهى أربعون وست آيات في الكوفى ، وخمس في عدد الباقين اختلافها.

آيتان﴿ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾النازعات: ٣٣ لم يعدها البصرى والشامى ، وعدّها الباقون، و{ فأما من طغى } لم يعدها المدنيان ، والمكى ، وعدها الباقون " [٦]

سادساً: أغراض السورة وما تشتمل عليه :

سورة النازعات من السور المكية التى تعتنى بأصول العقيدة ، والنبوة ، وإثبات البعث ووقوعه ، ومن هنا شرعت السورة بمجموعة أقسام ، يُقْسم فيها سبحانه ببعض خلقه الكرام على أن الساعة حق وبيان حال خروج الروح من المؤمن والكافر حالة الاحتضار ، ثم شرعت السورة في بيان حال المشركين

---

(١) انظر : الكشاف ٦٩٣/٤.

(٢)انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين ، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ٣٦٦/٥ ، ت : د/ عبد الحميد مصطفى ، الشيخ / عبدالحميد فرغلى ، ط : المكتبة القيمة ـ القاهرة.

(٣)انظر : فتح القدير ٤١٥/٨.

(٤) النازعات: ٣٢

(٥) النازعات: ٣٣

(٦)انظر: البيان في عدد أى القرآن، لأبى عمرو الدانى ، صـ٢٦٣.

إزاء البعث وإنكارهم له، وتصوير مدى الخوف الشديد الذى يكونون عليه يوم القيامة ، وناسب ذلك ذكر قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون الذى عتى، واستكبر، وادعى الألوهية فأهلكه الله سبحانه للدلالة على كمال قدرته للاتعاظ، والادكار حتى يعلموا أن الكَرّة والإعادة ليست بالأمر الشاق عليه سبحانه فما هى إلا زجرة، أو صيحة واحدة ، ثم انتقلت بنا الآيات لتحدثنا عن خطاب الله سبحانه لمنكرى البعث وذلك بإقامة الأدلة والبراهين الحسية على وقوع البعث ، معلماً إياهم بأنهم أضعف من تلك المخلوقات التى ذكرها الله سبحانه من خلال تلك السورة الكريمة.

ثم ختمت السورة ببيان أهوال يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى فريقين: فريق الأبرار ، وفريق الفجار وبيان جزاء كل فريق ، وسؤال المشركين عن الساعة وحقيقتها للرسول صلى الله عليه وسلم وأن تفويض علمها إلى الله – عزوجل – وذهول المشركين من فظاعة هولها.

← وعن أغراض السورة الكريمة قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله – :–

" اشتملت على إثبات البعث والجزاء ، وإبطال إحالة المشركين وقوعه ، وتهويل يومه وما يعترى الناس حينئذ الوهل ، وإبطال قول المشركين بتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد ، وعرض بأن نكرانهم منبعث عن طغيانهم ، فكان الطغيان صاداً لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء فأصبحوا آمنين في أنفسهم غير متر قبي حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى – عليه السلام – وإن لهم في ذلك عبرة وتسلية – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم.

وانعطف الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث بأن خلق العوالم وتدبر نظامه أعظم من العادة الخلق ، وأدمج في ذلك إلفات إلى ما في خلق السماوات والأرض من دلائل على عظيم قدرة الله تعالى ، وأدمج فيه امتنان في خلق هذا العالم من فوائد يجتنونها ، وأنه إذا حلّ عالم الآخرة واتقرض عالم الدنيا جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب.

وكشف عن شبهتهم في إحالة البعث باستبطائهم إياه ، وجعلهم ذلك أمارة على انتفائه فلذلك يسأل الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن تعيين وقت الساعة سؤال تعنت ، وأن شأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يذكرهم بها وليس شأنه تعيين إيانها ، وأنها يوشك أن تحل فيعلمونها عياناً وكأنها مع طول الزمن لم يلبثوا إلا جزءاً من النهار" [1]

(1)انظر : التحرير والتنوير ٣٠/٥٤ .

المبحث الأول

القسم والمقسم عليه من خلال السورة الكريمة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾[1]

وفيه مطالب :

المطلب الأول : المفردات اللغوية

"والنازعات" " أصل النزع: الجذب والقلع ، ومنه نَزْعُ الميت روحه ، ونَزَع القوس: إذا جذبها ، ونزع الشئ يَنْزِعُه نَزْعا فهو منزوع ونزيع ، وانتزعه: اقتلعه ، ونزع الشئ: جذبه من مقره ، كنزع القوس عن كبده ، ويستعمل ذلك كما قال الراغب الأصفهانى – رحمه الله – في الأغراض ، ومنه نزع الضراوة والمحبة من القلب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾[2] ، ونزع فلان كذا ، أى: سلب ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾[3] ، وقوله:﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ ﴾[4] قيل: هى الملائكة التى تنزع الأرواح عن الأشباح ، وقوله:﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾[5] قيل: تقلع الناس من مقرهم لشدة هبوبها ، وقيل: تنزع أرواحهم من أبدانهم ، والتنازع والمنازعة: المجاذبة "

وقال الفراء: تنزع الأنفس من صدور الكفار ، كما يُغرق النازع في القوس إذا جذب الوتر ، ويستعمل في المحسوس والمعنوى ، فمن الأول: نزع القوس ، ومنه:﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾[6] ومن المعنوى قوله تعالى:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾[7]

---

(1) النازعات: ١ ـ ٥
(2) الأعراف: ٤٣
(3) آل عمران: ٢٦
(4) النازعات: ١
(5) القمر: ٢٠
(6) الأعراف: ١٠٨
(7) انظر : مفردات غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ٤٨٨/١ – مادة [نزع]، ت/ محمد سيد كيلانى ، ط : دار المعرفة – لبنان،= معانى القرآن،

← {غرقا}

" أى: ذوات إغراق ، يقال: أغرق الشئ يغرق فيه: إذا أوغل ، وبلغ أقصى غايته ، ومنه: أغرق النازع في القوس: أى بلغ غاية المد ، والإغراق: المبالغة ، والإستغراق: الاستيعاب ، وقد أقيم الغرق مقام المصدر الحقيقى أى: إغراقا " .(١)

← {والناشطات نشطا}" أصل الكلمة: النشاط والخفة، والأنشوطة: العقدة سهلة الحل ، ونشطه بمعنى: ربطه ، وأنشطه: حله بسرعة وخفة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: {كأنما أنشط من عقال}(٢)، وتنشط: ذهب بسرعة، ومنه قيل لبقر الوحش: نواشط ، ونشطت الحبل أنْشِطُه: عقدته وأنشطته: مددته ، قال الزمخشرى: تُنْشِطُ الأرواح، أى: تُخْرجها من نشط الدَّلو من البئر إذا أخرجه.

والناشط: الثور الوحشى الذى يخرج من أرض إلى أرض أو من بلد إلى بلد ، ومنه: بئر أنشاط من حيث أن الدلو تخرج منها بجَذبَة واحدة فهى قريبة

لأبى زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء ١٧٨/٥ ، ت : د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، ط :الهيئة المصرية الكتاب سنة ١٩٧٣ ، لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى ٣٤٩/٨ .

(١)انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ٤١٥/٨ ، ط : دار الفكر – بيروت – لبنان ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، اللباب في علوم الكتاب، لأبى حفص عمر بن على بن عادل الحنبلى ١٢١/٢٠ ، ت: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ / على محمد معوض ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادى ١٤٧٣/١، ط : المكتبة العلمية – بيروت ، تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الحسينى، المعروف بمرتضى الزبيدى ٦٥٢١/١ ، ط : دار الهداية.

(٢) انظر : سنن أبى داود، لسليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدى، أبو داود ٢٢٥/١٠، كتاب : الإجارة ، باب : في كسب الأطباء ، ت : د/عبدالقادر عبد الجبير، ط : دار الحديث ـ القاهرة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

القعر ، وانتشط الشئ: اختلسه ، ويقال: نشطت وانتشطت، أى: انتزعت" [١]

← {والسابحات سبحا} "السبح: المر السريع في الماء ، وفى الهواء ، واستعير لمر النجوم في الفلك نحو: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٢] ولجرى الفرس نحو:﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾[٣] ، ولسرعة الذهاب في العمل ، نحو:﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾[٤]، والتسبيح: تنزيه الله – تعالى – وأصله: المر السريع في العبادة ، فجعله الله سبحانه نزول الملائكة من السماء كالسباحة ، والعرب تقول للفرس الجواد: إنه لسابح ، إذا مرّ يتمطى، فيقال: فرس سابح: إذا كان حسن مدّ اليدين في الجرى" [٥]

← {فالسابقات سبقا}

" السبق: تجاوز السائر من يسير معه ووصوله إلى المكان المسير قبله ، ويطلق السبق على سرعة الوصول من دون وجود سائر مع السابق﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[٦]، وقال: ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[٧] ويطلق السبق على الغلب والقهر ، ومنه قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ﴾[٨]، ويستعار السبق لإحراز الفضل وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٩] أى: المتقدمون إلى رتبهم ، ثواب الله – تعالى – وجنته بالأعمال الصالحة ، والإستباق والتسابق بمعنى ، ثم يتجوز به في غيره من التقدم ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾[١٠]

---

(١) انظر : أضواء البيان ٤١٥/٨ ، معانى القرآن ، للفراء ١٧٨/٥ ، الدر المصون في علم الكتاب المكنون،لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبى٥٧٤٧/١ = ت: د/ أحمد محمد الخراط ، ط : دار القلم ، دمشق ، الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م ، = بصائر ذوى التمييز١٤٧٥/١ ، مفردات غريب القرآن ٤٩٣/١ ، لسان العرب ٤١٣/٧، تاج العروس٥٠١٨/١.

(٢) يس: ٤٠.

(٣) النازعات: ٣.

(٤) المزمل: ٧.

(٥) انظر : مفردات غريب القرآن ١٢٢/١ ، بصائر ذوى التمييز ٨٦٦/١ ، معانى القرآن للفراء ١٧٨/٥ ، لسان العرب ٤٧٠/٢.

(٦) البقرة: ١٤٨.

(٧) المؤمنون: ٦١.

(٨) العنكبوت: ٤.

(٩) الواقعة: ١٠.

(١٠) الأحقاف: ١١.

وقوله:﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾[1] أى: نفذت، وتقدمت" [2].

← { فالمدبرات أمراً }

" التدبير: التفكر في دبر الأمور ، والتدبير: جولان الفكر في عواقب الأشياء، وبإجراء الأعمال على ما يليق بما توجد له ، ودابر كل شئ آخره ، ويقال: قطع الله دابرهم ، أى: آخر من بقى منهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[3] أى: أى: استأصل الله شأفتهم ، وقد اختير هذا الوصف للملائكة لأنهم موكلون بتدبير الأمور" [4]

المطلب الثانى : الإعراب

← {والنازعات غرقا}

"والنازعات" اسم مقسم به متعلق ب(أقسم مقدراً)"[5]

"غرقا" [يجوز في "غرقا" أن يكون مصدراً على حذف الزوائد بمعنى إغراقاً ، وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى ، أو حال أى: ذوات إغراق ، ويجوز أن يكون "غرقا" صفة للمفعول به لها ، أى: نفوساً غرقة في الأجساد" [6]

← {والناشطات نشطا}

" الذي يقتضيه غالب الاستعمال أن المتعاطفات بالواو صفات مستقلة لموصوفات مختلفة أنواع أو أصناف ، أو لموصوف واحد له أحوال متعددة ، وأن المعطوفات بالفاء صفات متفرعة عن الوصف الذى عطفت عليه بالفاء ، فهى صفات متعددة متفرع بعضها عن بعض لموصوف واحد فيكون قسماً بتلك الأحوال العظيمة

(1) فصلت: ٤٥
(2) انظر : التحرير والتنوير ٦٤/٣٠ ، بصائر ذوى التمييز ٨٧٢/١
(3) الأنعام : ٤٥.
(4) انظر : التحرير والتنوير ٦٥/٣٠، بصائر ذوى التمييز ٧٥٤/١ ، مفردات غريب القرآن ١٦٥/١ ، تاج العروس ٢٨١٤/١ ، روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقى بن مصطفى البروسوى ٢٤٦/١٠ ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.
(5) انظر : مشكل إعراب القرآن، أ.د/ أحمد بن الخراط ، صـ٥٨٣.
(6) انظر : روح البيان ٢٤٤/١٠ ، اللباب ١٢١/٢٠ ، الدر المصون ٥٧٤٧/١ ، روح المعانى ١٢٠/٢٢.

باعتبار موصوفاتها" [1]

{والناشطات} "اسم معطوف على النازعات، {نشطا} منصوب على المصدرية، وكذلك قوله "سبحا" ، "سبقا" [2]

← {فالسابقات} عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ، فالعطف بالفاء يؤذن بأن هذه الصفة متفرعة عن التى قبلها لأنهم يعطفون بالفاء الصفات التى شأنها أن يتفرع بعضها عن بعض ، كما في قوله تعالى:﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾[3] والسبب في العطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطاً لإستحقاق موصوفة للإجلال والإعظام بالأقسام به من غير انضمام الآخر إليه ، والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتبها على ما قبلها بغير مهلة" [4]

← وعن علة العطف أولاً بين هذه الصفات سالفة الذكر بالواو أولاً، ثم بالفاء آخراً قال العلماء:-

" في علته وجهان:

- الأول:- أن هذه – قوله: {فالسابقات} – مسببة عن التى قبلها ، كأنه قيل: واللاتى سبحن ، فسبقن ، كما تقول: قام فذهب ، فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ، ولو قلت: قام وذهب لم تجعل القيام سبباً للذهاب.

قال الواحدى[5]:- قول صاحب النظم غير مطرد في قوله:﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥

(1) انظر : التحرير والتنوير ٦١/٣٠.
(2) انظر : روح البيان ٢٤٤/١٠ ، روح المعانى ١٢٠/٢٢.
(3) الصافات: ١-٣.
(4) انظر : روح البيان ٢٤٥/١٠ ، روح المعانى ١٢٠/٢٢ ، التحرير والتنوير ٦٤/٣٠.
(5) [الواحدى] هو الإمام العلامة ، أبو الحسن ، على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى ، ، اليسابورى ، الشافعى ، صاحب التفسير ، وإمام علماء التأويل ، أصله من ساوة ، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبى وأخذ عنه ، صنف التفاسير ، الثلاثة: البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، ومن مؤلفاته: أسباب النزول ، والتحبير في الأسماء الحسنى ، وشرح ديوان المتنبى ، مات بنيسابور فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربع مائة = =

﴾[1] لأنه يبعد أن يجعل السبق سبباً للتدبير ، ويمكن الجواب عن اعتراض الواحدى – رحمه الله – من وجهين:-

← الأول:- لا يبعد أن يقال: إنها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيرها وإصلاحها ، فتكون هذه أفعالاً يتصل بعضها ببعض ، كقولك: قام زيد فذهب ، فضرب عمراً.

← الثانى:- لا يبعد أن يقال: إنهم لما كانوا سابقين في أداء الطاعات متسارعين إليها ظهرت أمانتهم ، فلهذا السبب فوض الله إليهم تدبير بعض العالم.

= الوجه الثانى:- أن الملائكة قسمان: الرؤساء ، والتلامذة ، والدليل عليه أنه سبحانه وتعالى قال:﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[2] ، ثم قال:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[3] ، فقلنا في التوفيق بين الآيتين: إن ملك الموت هو الرأس والرئيس ، وسائر الملائكة هى التلامذة ، إذا عرفت هذا فنقول: النازعات ، والناشطات ، والسابحات محمولة على التلامذة الذين هم يباشرون العمل بأنفسهم ، ثم قوله تعالى: "فالسابقات" و "فالمدبرات" إشارة إلى الرؤساء الذين هم السابقون في الدرجة والشرف ، وهم المدبرون لتلك الأحوال والأعمال" [4]

← {فالمدبرات أمراً}

"عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ وأما انتصاب "أمراً" فعلى المفعولية لإسم الفاعل "المدبرات" لا على نزع الخافض ، أي: بأمر منه تعالى كما قيل ، وزعم أنه الأولى ، وتنكيره للتهويل

انظر : سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ٣٣٩/١٨ – ٣٤٢ ، ط : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، الأعلام، الخير الدين الزركلى ٥١٤/١ ، ط : دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة السابعة ١٩٨٦م.

(1) النازعات: ٥.

(2) السجدة: ١١.

(3) الأنعام: ٦١

(4) انظر : التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازى ٣٦/١٦، ت : سيد عمران، ط : دار الحديث – القاهرة ، اللباب ١٢٥/٢٠ فتح القدير ٥٣٠/٥ .

والتفخيم ، وقيل منصوب على الحالية ، أى: يدبرون مأمورات" [1].

المطلب الثالث : البلاغة

تتضمن الآيات ضروباً من البلاغة منها:-

← أولاً:- في قوله تعالى: {فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا}

"السبق كناية[2] عن الإسراع فيما أمر به الملائكة ، لأن السبق وهو التقدم في السير من لوازم الإسراع" [3].

← ثانياً:- في قوله تعالى: {فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا}

" ولا اختلاف بين أهل العلم أنه يراد به الملائكة ، وهو مجاز[4] ، لأن الله – جل وعز – هو المدبر للأشياء ، قَالَ تَعَالَى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5] فلما كانت الملائكة – صلوات الله عليه – ينزلون بالوحى والأحكام وتصريف الأمطار قيل لهم مدبرات على المجاز ، كما قال: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ

---

(1) انظر : روح المعانى ١٢٠/٢٢ ، روح البيان ٢٤٦/١٠ ، اللباب ١٢٥/٢٠ ، إعراب القرآن، لأبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ١٤٠/٥، ت : د / زهير غازى زاهر ، ط : عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م.

(2) [الكناية] هى: لفظ أريد به غير معناه الذى وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة عن إرادته ، وتنقسم الكناية بإعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام: الأول: كناية عن صفة ، كطويل النجاد ، كناية عن طول القامة ، والثانى: كناية عن موصوف ، كقولهم: عريض الوسادة ، فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ، والثالث: كناية عن نسبة ، كقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى : في قبة ضربت على ابن الحشرح.

فأفاد إثبات الصفات المذكورة لإبن الحشرح بطريق الكناية = انظر : الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينى ، صـ٣٠١ – ٣٠٦ ، ت: الشيخ / بهيج عزاوى ، ط : دار إحياء العلوم – بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨ ، جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمى، صـ٣٤٦ ط : دار الكتب العلمية – بيروت – السادسة ، البلاغة الواضحة، للأستاذين على الجارم ، ومصطفى أمين ، صـ١٤٦ ط : دار المعارف – لبنان.

(3) انظر : روح البيان ٢٤٥/١٠

(4) السجدة : ٥

(5) البقرة : ٩٧.

﴿قَلْبِكَ﴾[1] فنسب التنزيل إلى جبريل والله الذى نزله" [2]

المطلب الرابع : تعيين المراد من الصفات المذكورة في الآيات السابقة

اختلف المفسرون في تحديد المراد من هذه الصفات ، وسبب هذا الخلاف هو عدم ثبوت النقل الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بيان المراد من هذه الصفات ، وإنما هو من باب إجتهاد الصحابة والتابعين في تفسير كتاب الله– عز وجل– وهذا ما ذهب إليه الإمام الرازى– رحمه الله– [3].

وسأسوق ما ورد في كل صفة على حدة، ثم أقوم بتوضيح وشرح أشهر ما ورد في هذه الصفات، فأقول مستعيناً بالله:– قوله تعالى:﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾

← أحدها: أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار ، قاله: على ، وابن مسعود.

← الثانى: هى الملائكة تنزع نفوس بنى آدم، قاله: ابن عباس، ومسروق.

← الثالث: أنه الموت ينزع النفوس ، قاله: مجاهد.

← الرابع: هى النفوس حين تُنزع ، قاله: السدى.

← الخامس: هى النجوم تُنزع من أفق إلى أفق، ومن المشرق إلى المغرب، قاله: الحسن

← السادس: هى الْقِسِّيّ تُنزع بالسهم ، قاله: عطاء ، وعكرمة.

← السابع: هى الوحوش تنزع من الكلأ وتنفر ، حكاه: الماوردى.[4]

---

(1) [المجاز] هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الحقيقى ، والعلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى قد تكون المشابهة ، وقد تكون غيرها فإن كانت المشابهة فهو إستعارة وإلا فمجاز مرسل، والقرينة قد تكون لفظية وهى التى يلفظ بها التركيب ، وقد تكون حالية وهى التى تفهم من حال المتكلم أو الواقع = انظر: جواهر البلاغة، صـ٢٣٢ ، البلاغة الواضحة، صـ٨٧ ، المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازانى الهروى، صـ٣٤٨ ، ط : المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.

(2) انظر إعراب القرآن، للنحاس ١٤٠/٥.

(3) انظر : مفاتيح الغيب ٣٦/١٦.

(4) [الماوردى] هو الإمام العلامة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ، الشافعى ، صاحب التصانيف، حدث عنه: أبو بكر الخطيب، ووثقه، وولى القضاء ببلدان شتى، ثم يسكن بغداد، وله مصنفات عدة منها: الحاوى، النكت والعيون، وأدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، مات في يوم الثلاثاء لسنة خمسين وأربعمائة وكان قد بلغ ستاً وثمانين ستة = انظر : سير أعلام النبلاء ٦٤/١٨، طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين بن على السبكى ٢٦٧/٥، ت: د/ محمود محمد الطناحى، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ط :هجر للطباعة – الثانية ١٤١٣هـ ، طبقات المفسرين، للحافظ عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، ص٧١ ت : على محمد عمر، ط : مكتبة وهبة – الأولى ١٣٩٦هـ.

← الثامن: أنها الرماة ، حكاه: الثعلبى.[1] " [2]

قوله تعالى:﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾النازعات: ٢

فيه ستة تأويلات:

← أحدها: هى الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال، قاله: ابن عباس.

← الثانى: النجوم التى تنشط من مطالعها إلى مغاربها ، قاله: قتادة.

← الثالث: هو الموت ينشط نَفْس الإنسان ، قاله: مجاهد.

← الرابع: هى النَفْس حيث نشطت بالموت ، قاله: السدى.

← الخامس: هى الأوهاق[3] ، قاله: عطاء.

← السادس: هى الوحش تنشط من بلد إلى بلد ، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد ، قاله: أبو عبيدة[4] " [5]

قوله تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾

(1) [الثعلبى] هو أحمد بن محمد الثعلبى ، أبو إسحاق النسابورى المفسر ، له كتاب [الكشف والبيان في تفسير القرآن ، وعرائس المجالس في قصص الأنبياء ، وتفسيره جمع فيه بين الصحيح والضعيف وكان صادقاً موثقاً بصيراً بالعربية ، توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة = انظر : سير أعلام النبلاء ٣٥/١٧ ، طبقات المفسرين، لمحمد بن على بن أحمد الداوودى ٦٦/١، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(2) انظر: النكت والعيون، لأبى الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى البصرى ١٩٢/٦ ت: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، ط : دار الكتب العلمية بيروت ، زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن على بن محمد الجوزى ١٤/٩، ط: المكتب الإسلامى بيروت الثالثة ١٤٠٤هـ.

(3) [الأوهاق] الوَهَقُ: الحبل المغار يُرْمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، والجمع أوهاق = انظر: لسان العرب ٣٨٥/١٠.

(4) [أبو عبيدة] هو مَعْمر بن المثنى ، أبو عبيدة التيمى البصرى كان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها ، ولد سنة عشر ومائة في الليلة التى مات فيها الحسن البصرى من مؤلفاته: مجاز القرآن ، وغريب القرآن ، ومعانى القرآن ، وغيرها ، توفى سنة تسع ومائتين ، وقيل غير ذلك ، انظر: طبقات اللغويين والنحاة، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدى، صـ١٧٥ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعارف – القاهرة- الثانية ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطى ٢٩٤/٢ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية – بيروت ، تهذيب التهذيب ، للحافظ أحمد على بن حجر العسقلانى ٢٤٦/١٠، ط : دار صادر- بيروت.

(5) انظر : معالم التنزيل ٢٣٤/٨ ، النكت والعيون ١٩٣/٦ ، زاد المسير١٦/٩.

فيه ستة أقوال:

← أحدها: أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ، قاله: على – رضى الله عنه ، قال ابن السائب[1]: يقبضون أرواح المؤمنين كالذى يسبح في الماء فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع يسلونها سلاً رفيقاً ، ثم يدعونها حتى تستريح.

← الثانى: أنهم الملائكة ينزلون من السماء من عين ، كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جَرْيه ، قاله: مجاهد ، وأبو صالح، والفراء[2]

← الثالث: أنه الموت يسبح في نفوس بنى آدم ، روى عن مجاهد أيضاً.

← الرابع: أنها السفن تسبح في الماء ، قاله: عطاء.

← الخامس: أنها النجوم ، والشمس ، والقمر كل في فلك يسبحون ، قاله: قتادة ، وأبو عبيدة.

← السادس: أنها الخيل ، حكاه: الماوردى[3]

قوله تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾

(1) [ابن السائب] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بسْر بن عمرو الكلبى صاحب التفسير ، وعلم النسب كان إماماً في هذين العملين ، تعددت أقوال علماء الجرح والتعديل فيه ، فقال البخارى: تركة يحيى وابن معين ، وقال يحيى بن معين: ليس بشئ ، وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه ، مات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة = انظر: تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ ، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر بن خلكان ٣٩/٤ – دار صادر – بيروت.

(2) [الفراء] هو يحيى بن زياد بن عبد الله ، أبو زكريا ، الفراء ، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأب ، ولد بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد وعهد إليه المأمون بتربية بنيه ، من مصنفاته: اختلاف أهل الكوفة والبصرة ، ومعانى القرآن ، والوقف والإبتداء ، وغيرها ، توفى ستة سبع ومائتين = انظر : بغية الوعاة ٣٣٣/٢ ، الأعلام ١٤٠/٨.

(3) انظر : معالم التنزيل ٣٢٥/٨ ، النكت والعيون ١٩٣/٦ ، مفاتيح الغيب ٣١/١٦ ، زاد المسير ١٧/٩

فيه خمسة أقوال:

← أحدها: أنها الملائكة ، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء ، قاله: علىّ ، ومسروق ، والثانى: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، قاله: مجاهد ، وأبو روق[1] ، والثالث: أنها سبقت بنى آدم إلى الإيمان ، قاله: الحسن.

← الثانى: أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله فيقبضونها وقد عاينت السرور ، قاله: ابن مسعود.

← الثالث: أنه الموت يسبق إلى النفوس ، روى عن مجاهد أيضاً.

← الرابع: أنها الخيل ، قاله: عطاء.

← الخامس: أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير ، قاله: قتادة[2]

قوله تعالى:﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾

فيه قولان:

← أحدهما: هى الملائكة ، قاله: الجمهور ، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:

الأول: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه ، الثانى: تدبير ما وكّلت فيه من الرياح والأمطار.

← الثانى: هى الكواكب السبعة[1] ، حكاه: خالد بن معدان[2] عن معاذ بن

(1) [أبو روق] هو عطية بن الحارث ، أبو روق الهمدانى الكوفى ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ليس به يأس ، وكذلك قال النسائى ، وقال أبو حاتم: صدوق ، وهو صاحب التفسير ، روى عن الضحاك وغيره = انظر : الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، أبو عبد الله البصرى الزهرى ٣٦٩/٦ ، ط : دار صادر بيروت ، تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكى عبد الرحمن ، أبو الحجاج المزى ١٤٣/٢٠ ، : د/ بشار عواد معروف ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ الأولى ١٤٠٠ ، ١٩٨٠.

(2) انظر: معالم التنزيل ٣٢٥/٨ ، النكت والعيون ١٩٣/٦ ، زاد المسير ١٧/٩.

جبل ، وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان:
الأول: تدبير طلوعها وأُفُولها ، الثانى: تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال " [٣]

القول الراجح في تحديد المراد من هذه الصفات

بعد أن بيّنا فيما سبق الأقوال الواردة في كل صفة من الصفات منسوبة إلى قائلها أرى أن القول الأول هو الراجح ، وهو أن المراد من هذه الصفات الملائكة الكرام إذ أن هذه الصفات برمتها تتناسب مع أوصاف الملائكة ، وعلة هذا الترجيح ما يلى:-

أولاً:- أن هذا الرأى هو ما ذهب إليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو المفهوم من صدارتهم لهذا الرأى على غيره في الذكر وأحياناً الاقتصار عليه في تفسير هذه الصفات مما يدل على اختيارهم، وقبولهم له.

وهذا ما دعا الإمام الشوكانى – رحمه الله – أن يقول عن هذا الرأى:

" وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم" [٤]

ثانياً: أن خروج الأرواح من الأجساد هو من مهام الملائكة ، ويترتب عليه الموت، والموت من مقدمات الدار الآخرة ، فإذا ما أرجعنا هذه الصفات إلى الملائكة كان ذلك أولى لدلالة السياق ، والهدف الرئيسى الذى تدور حوله السورة الكريمة هو الحديث عن الدار الآخرة.

← وفى هذا الصدد يقول الإمام أبو السعود – رحمه الله – :-

---

(١) [الكواكب السبعة] هى الشمس ، والقمر ، وزحل ، والمشترى ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد = انظر : شرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى ٣٣٨/١، ط : دار المعارف النعمانية – باكستان ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٢) [خالد بن معدان] هو خالد بن معدان ، أبو عبد الله الكلاعى الحمصى ، عالم أهل بلده ، قال العجلى: شامى تابعى ثقة ، وقال النسائى: ثقة ، توفى سنة أربع ومائة ، وقيل غير ذلك = انظر : تهذيب التهذيب ١٠٣/٣ ، الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد ١٩٦/٤ – ت: السيد شرف الدين أحمد ، ط : دار الفكر – الأولى ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٣٢٦/٨ ، النكت والعيون ١٩٤/٦ ، زاد المسير ١٨/٩ ، مفاتيح الغيب ٣٢/١٦.

(٤) انظر : فتح القدير ٤٠٥/٧.

"والذى يليق بشأن التنزيل هو الأول" [١]

← وعن ترجيح هذا القول قال الإمام الألوسى – رحمه الله – :-

"وما ذكرته أولا هو المرجح عندى نظراً للمقام" [٢].

ثالثاً:- ورد من بين معانى هذه الصفات أن المراد بها النجوم والسفن ، وقد عبر القرآن الكريم عنهما بالجوارى ، قال تعالى عن السفن:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾[٣] وقال عن النجوم:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ ﴾[٤] ولم يسمهما القرآن سابحات ، فإرجاع الصفات إليها تكلف ، وبُعد.

رابعاً:- أن حمل هذه الصفات على الملائكة يتلائم كل الملائمة مع آخر سورة النبأ التى قبلها ، إذ ورد فيها:﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[٥] ، ومشاهدة المرء ما قدمت يداه يبدأ من حالة نزع وخروج الروح من الجسد، أو نشطها، وهذا من عمل الملائكة.

المطلب الخامس : أقوال العلماء في تحديد جواب القسم

للعلماء في تحديد جواب القسم رأيان:

← الأول:- أنه محذوف ، ثم على هذا الوجه في الآية احتمالات:-

* الأول: قال الفراء هو مما تُرك جوابه لمعرفة السامعين ، وكأنه لو ظهر كان: لتبعثن ولتحاسبن ، والدليل عليه ما حكى الله – تعالى – عنهم ، أنهم قالوا:﴿ أَءِذَا كُنَّا ﴾[٦]، أى: أنبعث إذا صرنا عظاماً نخرة ؟

* الثانى: قال الأخفش[٧] والزجاج[١]: لتنفخن في الصور نفختين ، ودل على

(١) انظر : تفسير أبى السعود ٤٤٦/٦.
(٢) انظر : روح المعانى ١٢٢/٢٢.
(٣) الشورى: ٣٢.
(٤) التكوير: ١٥.
(٥) النبأ: ٤٠.
(٦) النازعات: ١١.
(٧) [الأخفش] هو سعيد بن مَسْعدة ، أبو الحسن المجاشعى ، البلخى ، الأخفش الأوسط ، أحلى الأخافشة الثلاثة المشهورين ، الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد ، والأصغر: على بن سليمان ، والأوسط هو صاحب الترجمة أخذ عن الخليل ، ولزم سيوبه حتى برع ، وكان أسن منه ، له كتب كثيرة في النحو ، والعروض ، ومعانى القرآن منها: الأوسط

على هذا المحذوف ذكر الراجفة ، والرادفة، وهما النفختان.

* الثالث: قال الكسائى[٢]: الجواب المضمر: هو أن القيامة واقعة ، وذلك لأن الله – سبحانه وتعالى – قال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾[٣]، ثم قال:﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾[٤] ، وقال:﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾[٥]، ثم قال:﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾[٦]، فكذلك ههنا فإن القرآن كالسورة الواحدة.

← القول الثانى: أن الجواب مذكور ، وعلى هذا القول احتمالات:-

* الأول: المقسم عليه هو قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ ﴾[٧]، والتقدير: والنازعات غرقاً، إنَّ يوم ترجف الراجفة تَحْصل قلوب واجفة، وأبصارها خاشعة.

* الثانى: جواب القسم هو قوله:﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾[٨] فإن هل ههنا بمعنى قد، كما في قوله:﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[٩] أى: قد أتاك حديث

في النحو ، ومعانى القرآن ، توفى سنة خمس عشرة ، ومائتين ، ومعنى الأخفش: الصغير العينين مع سوء بصرهما = انظر: وفيات الأعيان] ٣٨٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١٠ ، بغية الوعاة ٥٩٠/١.

(١) [الزجاج] هو إبراهيم بن السُّرِّى بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج النحوى ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن الإعتقاد ، عالم بالنحو واللغة والأدب ، كان في شبابه يخرط الزجاج فلقب بالزجاج ، ومال إلى النحو فعلّمه المُبرِّد ، من مؤلفاته: معانى القرآن ، مجاز القرآن ، الاشتقاق ، والأمالى في اللغة ، وغيرها ، توفى ببغداد سنة إحدى عشرة وثلاثة ومائة = انظر: وفيات الأعيان ٤٩/١ ، الأعلام٤٠/١.

(٢) [الكسائى] هو على بن حمزة ، أبو الحسن الأسدى الكوفى ، الإمام المقرئ النحوي ، أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، وهو أحد القراء السبعة المشهورين ، لقب بالكسائى لأنه أحرم في كساء ، أو لأنه كان يبيع الأكسية في حداثته ، توفى بطوس سنة تسع وثمانين ومائة = انظر: غاية النهاية فى طبقات القراء، لمحمد بن الجزرى ٥٣٥/١، ط : دار الكتب العلمية- بيروت ـ الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، معجم الأدباء، لياقوت الحموى ١٦٧/١٣، ط : دار الفكر – بيروت ـ الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣) الذاريات: ١.

(٤) الذاريات: ٥.

(٥) المرسلات: ١.

(٦) المرسلات: ٧.

(٧) النازعات: ٨، ٩.

(٨) النازعات: ١٥.

(٩) الغاشية: ١.

الغاشية.

* الثالث: جواب القسم هو قوله:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[1]، والمعنى: فيما اقتصصت من ذكر يوم القيامة ، وذكر موسى – عليه السلام – وفرعون.

* الرابع: هو على التقديم والتأخير ، كأنه قال:﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ و "النازعات" [2].

← هذا ما ذكره العلماء في جواب القسم من حيث ظهوره، وعدمه ، إلا أننى أميل إلى القول بأن جواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن – كما ذهب جمهور المفسرين[3] – وذلك لما يلى:-

← أولاً:- أن دلالة السياق تدل عليه لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وأحوالها.

← ثانياً:- عدم الإطالة في الكلام بين القسم والمقسم عليه كما في الأقوال الأخرى.

← ثالثاً:- أن المقسم به إذا كان دالاً على المقسم عليه مستلزماً له استغنى عن ذكره بذكره، وفى هذا الصدد يقول ابن القيم – رحمه الله – :-

" وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق ، وهو البعث المستلزم لصدق الرسول ، وثبوت القرآن، أو أنه صار القسم الذى أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به ، دون أن يراد به مقسماً عليه بعينه ، وهذا القسم يتضمن الجواب [المقسم عليه] – وإن لم يذكر لفظاً ، ولعل هذا مراد من قال: أنه محذوف للعلم به ، لكن هذا الوجه ألطف مسلكاً فإن المقسم به إذا كان دالاً على المقسم عليه مستلزماً أستغنى عن ذكره بذكره" [4]

← رابعاً:- ترجيح كثير من العلماء للقول من أن جواب جواب القسم

(1) النازعات: ٢٦.
(2) انظر: مفاتيح الغيب ٣٧/١٦ ، البحر المحيط ٤٣٧/١٠ ، معانى القرآن، للفراء ١٧٩/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٩ ، الدر المصون ٥٧٤٨/١.
(3) انظر: مفاتيح الغيب ٣٧/١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٩ ، روح المعانى ١٢٠/٢٢ ، روح البيان ١٤٤/١٦ ، المحرر الوجيز ٤٣١/٥.
(4) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم الجوزية، صـ٨٣ ، ط : دار الفكر.

محذوف تقديره: لتبعثن وتضعيفهم لبقية ما ورد في جواب القسم من أقوال.

← وفى هذا الصدد قال العلماء:-

" والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفاً ، وتقديره: لتبعثن ، لدلالة ما بعده عليه ، قال الفراء:

وأما عن الجواب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[1] قال إبن الأنبارى[2]: هذا قبيح لأن الكلام قد طال، وأما عن القول بأن الجواب:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾[3] على تقدير: ليوم ترجف ، فاللام التى تلقى بها القسم محذوفة ، أى: ليوم كذا، قال أبو جعفر النحاس[4]: هذا بعيد لأن اللام ليست مما تحذف لأنها تقع على أكثر الأشياء فلا يعلم من أين حذفت.

وأما عن القول بأن الجواب على التقديم والتأخير كأنه قال:﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ والنازعات"

قال ابن الأنبارى: خطأ لأن الفاء لا يفتتح بها الكلام.

وأما عن القول بأن الجواب:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: أن "هل" بمعنى "قد"

---

(1) النازعات: ٢٦.

(2) [ابن الأنبارى] هو محمد بن القاسم بن محمد ، أبو بكر بن الأنبارى النحوى المقرئ ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين ، سمع من ثعلب ، وخلق كثير، وكان صدوقاً ديِّنا فاضلاً من أهل السنة ، روى عنه الدارقطنى وجماعة ، وصنف: غريب الحديث ، والأضداد ، والمشكل ، وغيرها ، توفى سنة ثمان ، وقيل سبع وعشرين وثلاثمائة ببغداد = انظر : سير أعلام النبلاء١٥/٢٧٤، بغية الوعاة ٢١٢/١.

(3) النازعات: ٦.

(4) [أبو جعفر النحاس] هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر البصرى النحوى ، من أهل الفضل والعلم ولد وتوفى بمصر ، ورحل إلى بغداد وأخذ عن الأخفش والمبرد والزجاج وغيرهم صنف كتباً كثيرة منها: معانى القرآن ، وإعراب القرآن ، والإشتقاق، وغيرها ، توفى بمصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة = انظر: معجم الأدباء٤/٢٢٤ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعماد الدين عبد الحى بن العماد الحنبلى ٣٤٦/٢ ، ط : دار الفكر بيروت – الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، الأعلام٢٠٨/١.

فليس بشئ، وهذا كله إعراب من لم يحكم العربية" [١]

المطلب السادس : من لطائف الآيات

← اللطيفة الأولى:- لماذا جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث؟

جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث مع أن كلها وصف للملائكة ، والملائكة ليسوا إناثاً ، وذلك لأن المقسم به طوائف من الملائكة ، فكأنه قال: وطوائف الملائكة النازعات .... ومن المعلوم أن الطوائف جمع طائفة وهى مؤنثة

← وعن حكمة وعلة إتيان هذه الأقسام بلفظ التأنيث قال العلماء:-

" أُنثت صفة للملائكة باعتبار كونهم طائفة ، ثم جمعت تلك الصفة ، فقيل: نازعات بمعنى طوائف من الملائكة ، وقِسْ عليه الناشطات ، والسابحات ... إلخ ، لأن المراد الأشياء ذوات النزع ، وإلا فكان الظاهر أن يقال: والنازعين ، والناشطين.. إلخ

فهذه الأمور الخمسة المقسم بها جموع جرى لفظها على صيغة الجمع بألف وتاء ، لأنها في تأويل جماعات تتحقق فيها الصفات المجموعة فهى مجموعة: نازعات ، ناشطات ، سابحات ، سابقات ، مدبرات" [٢].

← اللطيفة الثانية:- لم قال:﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[٣] ولم يقل أموراً؟

" قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ولم يقل أموراً فإنهم يدبرون أموراً كثيرة لها أمراً واحداً، والجواب: أن المراد به الجنس ، وإذا كان كذلك قام مقام الجمع" [٤]

← اللطيفة الثالثة:- لماذا أسند تدبير الأمر إلى الملائكة مع أن الأمر أمْر الله ؟ " الجواب: لمّا كان ذلك الإتيان به كان الأمر كأنه له" [٥].

---

(١) انظر: البحر المحيط ٤٣٧/١٠ ، المحرر الوجيز٤٠٣/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٩ ، إعراب القرآن للنحاس ١٤١/٥.

(٢) انظر: روح المعانى ٢٣/٣٠ ، مفاتيح الغيب ٣٣/١٦ ، التحرير والتنوير ٦٠/٣٠ ، ٦١ ، روح البيان٢٤٤/١٠.

(٣) النازعات: ٥.

(٤) انظر : مفاتيح الغيب ٣٢/١٦ ، اللباب ١٢٦/٢٠.

(٥) انظر : مفاتيح الغيب٣٢/١.

المطلب السابع : المعنى الإجمالى للآيات

بدأ الله – عزوجل – هذه السورة بالقسم بأصناف من مخلوقاته وهم الملائكة الكرام ذوى المهام المختلفة الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله – تعالى – وإسراعهم في تنفيذ أمره والقسم يدل على شرف أمر المقسم به ، ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته للتنبيه على ذلك الشرف.

وقد أقسم سبحانه بهذا القسم العظيم للدلالة على أنه لابد من البعث والجزاء، حيث كان المشركون ينكرون وقوعه حتى لا يقفوا عند حدٍ فى سلوكهم فيستمروا في غيّهم وفسادهم اعتقاداً منهم استبعاد واستحالة وقوعه ، ولما كان اعتقادهم هذا راسخاً في عقولهم خاطبهم القرآن بأساليب عدة ، تارة في صورة الإنذار والتهديد، وأخرى في صورة الحجة والبرهان ، وقد وجّه القرآن من خلال سورة النازعات على أن البعث حق ، وأن يوم القيامة آت لا محالة ومن هنا افتتح هذه السورة ، مقسماً بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكافرين بشدة وقوعه وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح فتجازى بعملها ، وبالملائكة الذين يستخرجون أرواح المؤمنين بلين وسهولة ، ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذين يغوص في البحر ليُخرج ما يريد من أعماق البحار فيسبقون بأرواح الكافرين إلى النار ، بينما يسبقون بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، فيدبرون أمر الثواب والعقاب كل على حسب عمله ، إضافة إلى تدبيرهم ما يتعلق بأحوال العباد من حلال وحرام ، ورياح ومطر ، وقبض الأنفس...إلخ.

المطلب الثامن : ما ترشد إليه الآيات

١- بيان أهمية القسم ووقْعه في النفوس ، ومن هنا ورد القسم في صدر هذه السورة الكريمة وهو من أساليب التأكيد عند العرب.

٢- تقرير عقيدة البعث والإيمان بها وجزاء المؤمنين والمنكرين لها.

٣- وجوب الإيمان بالغيب ، ومنه الإيمان بالملائكة الذين أخفى الله عنا رؤيتهم ، وأخبرنا القرآن بجزاء المؤمنين بالغيب فقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم

مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١)

٤- تحقيق عدل الله – تعالى – وهذا يستنبط من موقف الملائكة من الإنسان عند موته مؤمناً كان أم كافراً.

٥- لله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء في أى وقت شاء، لإثبات أو نفى ما يشاء.

المبحث الثانى

إثبات البعث وبيان موقف المشركين منه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾ (٢)

وفيه مطالب:

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

لما أقسم تعالى في الآيات السابقة بالملائكة على إثبات البعث ووقوعه ، وذكر بعض أحوال ذلك اليوم ، وأحوال المشركين فيه، أردف ذلك بالحديث عن هؤلاء المنكرين للبعث.

← وعن تلك المناسبة يقول الإمام أبو السعود – رحمه الله – :-

" وقوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به ، إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى ، وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار ، أى: يقولون إذا قيل لهم: إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة ، أى: في الحالة الأولى ، يعنون الحياة" (٣)

← وقد ساق الإمام الألوسى ما ذكره الإمام أبوالسعود– رحمها الله– ثم قال:-

(١) الملك: ١٢.
(٢) النازعات: ٦-١٤.
(٣) انظر: تفسير أبى السعود ٤٤٨/٦.

"وقيل: إنه تعالى شأنه لما أقسم على البعث وبيّن ذلهم وخوفهم ، ذكر هنا إقرارهم بالبعث ، وردهم إلى الحياة بعد الموت"[1].

* وما ذكره الإمام الألوسى مبنى على أن هذا الكلام حكاية لما يقوله المنكرون للبعث يوم القيامة بخلاف ما ذكره الإمام أبو السعود فإنه مبنى على أن كلام المنكرين للبعث وقع منهم في الدنيا.

المطلب الثانى :المفردات اللغوية

← قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾

"أصل الرجفة: الحركة والصوت ، ورجَفَ رجْفاً ، ورجَفَاناً: تحرك ، ورجَفَه رَجْفا: حرّكه ، ورجَفَت الأرض وأرْجَفت: زلزلت ، ومنه سميت الأراجيف لإضطراب الأصوات بها" [2]

← قوله تعالى:﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾

"الرِّدْفُ: ما تَبِع الشئ ، وكل شئ تبع شيئاً فهو رِدْفُه وإذا تتابع شئ خلفِ شئ فهو الترادف ، والرِدْفٌ بالكسر المرتدف وهو الذى يركب خلف الراكب ، ورَدفه بالكسر أى: تتبعه ، والرديف: التابع لغيره ، وقوله تعالى:﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[3] قال الفراء: أى: متتابعين"[4]

← قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾

"الوَجْفُ: سرعة السير ، وجَفَ البعير والفرس يَجف وجْفاً ووجيفاً: أسرع ، ووجف الشئ: إذا اضطرب ، ووجف القلب وجيفا: خفق ، وفى التنزيل العزيز: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ قال الزجاج: شديدة الإضطراب ، قال قتادة: وجفت عما عاينت، وقلب واجف: مضطرب ، وأصل الوجف: اضطراب القلب

(1) انظر: روح المعانى ٢٧/٣٠.
(2) انظر: معالم التنزيل ٣٢٦/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١٩ ، بصائر ذوى التمييز ٧٩٨/١ ، تاج العروس ٥٨٥٨/١.
(3) الأنفال : ٩ .
(4) انظر : التحرير والتنوير ٦٧/٣٠، الكشف والبيان ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ١٢٤/١٠، بصائر ذوى التمييز ٨١٠/١، لسان العرب ١١٤/٩.

وقلقه" [1]

← قوله تعالى:﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾

خشع يَخْشَعُ خُشوعاً واخْتَشَع وتَخَشَّع رمى ببصره نحو الأرض ، وغَضَّه وخفض صوته ، وخشع بصره: انكسر ، وقيل الخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن ، والصوت ، والبصر كقوله تعالى: ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾[2] ، ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ ﴾أى: سكنت ، وكل ساكن خاضع خاشع ، "وفى حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم أقبل علينا فقال: أيكم يحب أن يُعْرض الله عنه؟ قال: فخَشَعْنَا" [3] أى: خشينا وخضعنا ، وخشع خشوعاً: خضع ، وذل ، وخاف " [4]

← قوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾

"حفر الشئ يَحْفِرُه حَفْراً واحْتَفره: نقّاه كما تحفر الأرض بالحديدة ، والحافرة: الطريقة التى يرجع الإنسان فيها من حيث جاء ، يقال: رجع في حافرته وعلى حافرته ، ثم يعبر بها عن الرجوع بالأحوال من آخر الأمر إلى أوله ، وأصله: أن الإنسان إذا رجع في طريقه أثرت قدماه فيها حفرا ، وقولهم: النقد عند الحافرة ، لما يباع نقداً، يريدون عند الحالة الأولى ، وأصله من الفرس إذا بيع ، فيقال: لا يزول حافرة ، أو ينقد ثمنه ، والحفرة تأكل الأسنان ، والحافرة: فاعلة بمعنى مفعولة ، وهى الأرض التى تحفر قبورهم فيها ، فهى بمعنى المحفورة ، وقال بعضهم: الحافرة الأرض التى تحفر فيها قبورهم

(1) انظر : معالم التنزيل ٣٢٧/٨، اللباب ١٢٩/٢٠، الدر المصون ٧٤٩/١، تاج العروس ٦١٥٦/١، لسان العرب ٣٥٢/٩، المعجم الوسيط ،تأليف: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات – حامد عبد القادر.

(2) طه ١٠٨.

(3) انظر: الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، كتاب: الزهد والرقائق ، باب: حديث جابر الطويل ، وقصته أبى اليسر ٢٣٢/٨ – حديث رقم ٧٧٠٥ من حديث سيدنا جابر بن عبد الله – رضى الله عنه .

(4) انظر : لسان العرب ٧١/٨ ، المعجم الوسيط ٢٣٥/١.

فسماها الحافرة ، والمعنى: المحفورة ، كقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[1]يريد مدفوقاً ، وكقوله تعالى:﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[2] أي: منسوبة إلى الحفر والرضا " [3].

← قوله تعالى:﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾

"نَخِرَ الشئ يَنْخَرُ كَعَلم يعلم ، أى: بلى وتقتت ، ونُخْرَة الريح: شدة هبوبها ، وقيل للعظم والعود البالى ناخر ، وقوله تعالى:﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾من قولهم: نخرت الشجرة أى: بليت ، والنخير: صوت من الأنف ، ويقال نخر العظم: إذا بلى ورَمَّ ، وقيل ناخرة: أى فارغة يجئ منها عند هبوب الريح ، وتأنيث نخرة ، لأن موصوفه جمع تكسير ، فوصفه يجرى على التأنيث في الإستعمال" [4].

← قوله تعالى:﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾

"الكَّرة: الواحدة من الكَّر ، وهو الرجوع بعد الذهاب ، يقال: كَرَّه، وكَرَّ بنفسه ، والكرة: المرة ، أى: رجعة[5] و "الخاسرة" الخسر والخسران: إنخفاض رأس المال وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال: خسر فلان ، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته ، ثم استعير هنا لمصادفة المكروه غير المتوقع ، وكرة خاسرة، أى: غير ناقصة" [6].

← قوله تعالى:﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾

"الزجر: طرد بصوت ، يقال: زجرته فانزجر ، قال: "فإنما هى زجرة واحدة" ، ثم

(1) الطارق: ٦.
(2) الحاقة: ٢١.
(3) انظر: الكشاف ٦٩٤/٤ ، اللباب ١٣٠/٢٠ ، التحرير والتنوير ٧٠/٣٠ ، تفسير أبى السعود ٩٧/٩ ، معانى القرآن، للفراء ١ / ١٧٩ ، تاج العروس ٢٧١١/١.
(4) انظر: التحرير والتنوير ٧٠/٣٠ ، اللباب ١٣٢/٢٠، بصائر ذوى التمييز ١٤٥٨/١ ، المفردات ٤٨٦/١ ، لسان العرب ١٩٧/٥.
(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٩، التحرير والتنوير ٧١/٣٠ ، اللباب ١٣٣/٢٠.
(6) انظر: التحرير والتنوير ٧١/٣٠ المفردات ١٤٧/١ ، لسان العرب ٢٣٨/٤.

يستعمل في الطرد تارة ، وفى الصوت تارة ، والزجرة: المرة من الزجر ، وهو الكلام الذى فيه أمر أو نهى في حالة الغضب ، يقال: زجر البعير ، إذا صاح له لينهض أو يسير ، وعبر بها هنا عن أمر الله بتكوين أجساد الناس الأموات تصوير لما فيه من معنى التسخير لتعجيل التكوُّن ، وفيه مناسبة لإحياء ما كان هامداً كما يُبعث البعير البارك بزجرة ينهض بها سريعاً خوفاً من زاجرة" [1].

← قوله تعالى:﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

" أي: فإذا الخلائق أجمعون بالساهرة، أى: على وجه الأرض من الفلاة بعدما كانوا في بطنها ، وصفت بما يقع فيها ، وهو السهر لأجل الخوف ، وقيل: لأن السراب يجرى فيها من قولهم: عين ساهرة ، أى: جارية الماء ، وفى ضدها نائمة " [2]

المطلب الثالث :الإعراب

← قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾

إعراب الظرف ورد فيه ثلاثة أقوال:-

↔ أحدها:- أنه منصوب بجواب القسم المضمر ، والتقدير: لتبعثن يوم ترجف الراجفة ، قال الزمخشرى[3]: فإن قلت كيف جَعلت "يوم ترجف" ظرفاً للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الأولى وهى الراجفة؟؟ قلت: المعنى: لتبعثُن في الوقت الواسع الذى تقع فيه النفختان ، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت وهو وقت النفخة الأخرى ، ودل على ذلك أن قوله:﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ جعل حالاً عن الراجفة.

← الثانى:- أنه مفعول منصوب بمقدر غير جواب القسم ، أى: اذكر يوم ترجف فتكون الجملة استئنافاً مقرر لمضمون الجواب المضمر، كأنه قيل لرسول الله صلى

(1) انظر: التحرير والتنوير ٧٢/٣٠ ، المفردات في غريب القرآن ٢١١/١.
(2) انظر: معانى القرآن، للفراء ١٨١/٥ ، الكشاف ١٩٥/٤ ، اللباب ٢٤/٢٠.
(3) [الزمخشرى] هو محمود بن عمر جار الله أبو القاسم الزمخشرى ، ولد بزمخشر ٤٦٧هـ، وسافر إلى مكة وجاور بها فلقب بجار الله ، كان مغزلى المذهب ، من مؤلفاته: الكشاف في التفسير ، وأساس البلاغة والمفصل وغيرها ، توفى سنة ٥٣٨ه، = انظر : بغية الوعاة ٢٧٩/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢ ، الأعلام ١٧٨/٧.

الله عليه وسلم: اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم.

← الثالث:- أنه منصوب بما دل عليه قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾أى: يوم ترجف وجفت القلوب، أى: اضطربت.

وقيل منصوب بما دل عليه قول تعالى: "راجفة" ، أى: يوم ترجف رَجَفَتْ

وقيل منصوب بما دل عليه قوله تعالى: "خاشعة"، أى: يوم ترجف خشعت" [1]

← قوله تعالى:﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾

" يجوز أن تكون حالاً من الراجفة ، وأن تكون مستأنفة " [2]

← قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ ﴾

" قلوب" مبتدأ ، و"يومئذ" ظرف منصوب متعلق بواجفة

"وواجفة" صفة القلوب ، وهو المسوغ الإبتداء بالنكرة

و"أبصارها" مبتدأ ثان ، و"خاشعة" خبره ، وهو وخبره خبر الأول " [3]

← قوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ ﴾

" ضمير "يقولون" عائد إلى معلوم من السياق ، وهم الذين شهروا بهذه المقالة وهم المشركون في تكذيبهم بالبعث.

وحُكى مقالهم بصيغة المضارع لإفادة أنهم مستمرون عليه وأنه متجدد فيهم لا يرعوون عنه ، وللإشعار بما في المضارع من إستحضار حالتهم بتكرير هذا القول ليكون ذلك كناية عن التعجيب من قولهم هذا.

وجُعل الإستفهام التعجبى داخلاً على جملة إسمية مؤكدة بـ إن ، وبلام الابتداء، وتلك ثلاثة مؤكدات مقوية للخبر ، لإفادة أنهم أتوا بما يفيد التعجب من الخبر ومن شدة يقين المسلمين به ، فهم يتعجبون من تصديق هذا

---

(1) انظر: الدر المصون ٥٧٤٨/١ ، الكشاف ٦٩٤/٤ ، اللباب ١٢٨/٢٠ ، روح المعانى٢٦/٣٠ ، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب ٢٨٠/٢.

(2) انظر : البحر المحيط ٤١٢/٨ ، الدر المصون ٥٧٤٩/١ ، اللباب١٢٨/٢٠ ، التبيان في إعراب القرآن، لمحب الدين عبد الله الحسين بن أبى البقاء العكبرى ٢٨٠/٢ ، ت : على محمد البجاوى ، ط : الكتب العربية.

(3) انظر: تفسير أبى السعود ٩٧/٩ البحر المحيط ٤١٣/٨ ، الدر المصون ٥٧٤٩/١ ، اللباب ١٢٨/٢٠.

الخبر فضلاً عن تحقيقه والإيقان به.

وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ يجوز تعليقه بمردودون ، أو بمحذوف على أنه حال كما تقدم" [1]

← قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾

" ظرف، إذا هو مناط التعجب وادعاء الاستحالة ، والعامل فيه مضمر يدل عليه قوله: "مردودون" أى: أئذا كنا عظاماً بالية نرد ونبعث ، و"إذا" متعلق بمردودون ، و "نخرة" صفة مشتقة من قولهم: نخر العظم إذا بلى فصار فارغ الوسط ، والإستفهام إنكارى مؤكد للإستفهام الأول للدلالة على أن هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت ، فهما إنكاران لإظهار شدة إحالته " [2]

← قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾

" "قالوا" بدل اشتمال من جملة "يقولون أءنا لمردودون في الحافرة" وعبر عن قولهم هذا بصيغة الماضى دون المضارع على عكس يقولون أءنا لمردودون في الحافرة لأن هذه المقالة قالوها إستهزاء فليست مما يتكرر منهم بخلاف قولهم: أءنا لمردودون في الحافرة فإنه حجة ناهضة في زعمهم فهذا مما يتكرر منهم في كل مقام

و "تلك" إشارة إلى الرَّدة المستفادة من "مردودون"

و "إذا" جواب للكلام المتقدم ، والتقدير: إذا تلك كرة خاسرة ، فقدّم "تلك" على حرف الجواب للعناية بالإشارة.

و "تلك" مبتدأ ، و"كرة" خبرها ، و"خاسرة" صفة" [3]

← قوله تعالى:﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾

" الفاء فصيحة للتفريع على ما يقيده قولهم: أءنا لمردودون في الحافرة أءذا كنا عظاماً نخرة ، من إحالتهم الحياة بعد البلى والفناء ، فتقدير الكلام: لاعجب في ذلك فما هى إلا زجرة واحدة فإذا أنتم حاضرون في الحشر وضمير "هى" ضمير القصة ، وهو ضمير الشأن ، واختير الضمير المؤنث

---

(1) انظر : التحرير والتنوير ٦٩/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٠/١ اللباب ١٣٠/٢٠.
(2) انظر: روح المعانى ٢٧/٣٠ ، التحرير والتنوير ٧٠/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥١/١.
(3) انظر : اللباب ١٣٢/٢٠ ، التحرير والتنوير ٧١/٣٠.

ليحسن عوده إلى "زجرة" .

قال الزمخشرى: فإن قلت بم تعلق قوله:{ فإنما هى زجرة واحدة} قلت: بمحذوف ، معناه: لا تستصعبوها فإنما هى زجرة واحدة ، يعنى: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله –عزوجل – فإنها سهلة هينة في قدرته ، ما هى إلا صحيحة واحدة يريد النفخة الثانية " [1]

← قوله تعالى:﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

" الفاء للتفريع على جملة "إنما هى زجرة واحدة" و"إذا" للمفاجأة" [2]

المطلب الثالث :البلاغة

تشتمل الآيات على بعض أنواع البلاغة منها:–

← أولاً:– قوله تعالى:– ﴿ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ "فيه جناس اشتقاق" [3]

← ثانياً:– قوله تعالى:–﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾"كناية عن الذل والخوف" [4]

← ثالثاً:– قوله تعالى:–﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾

" ووصْف الكرة بالخاسرة مجاز عقلى للمبالغة ، لأن الخاسر أصحابها" [5]

المطلب الرابع :القراءات

← قوله تعالى:– ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾

أولاً:– القراءات الواردة في: [أءنا – أءذا]

" قرأ نافع[6] ، وابن عامر[7] ، والكسائى[8] ، وكذا يعقوب[1] بالإستفهام في

---

(1) انظر: الدر المصون ٥٧٥٢/١ ، التحرير والتنوير ٧٢/٣٠ ، الكشاف ٦٩٥/٤.

(2) انظر: التحرير والتنوير ٧٢/٣٠.

(3) [جناس الاشتقاق]يسمى بالجناس المطلق، وهو أحد أنواع الجناس اللفظي ، وهو توافق رُكنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاقٌ= انظر : جواهر البلاغة، لأحمد الهاشمى ، ص ٣٢٦ .

(4) انظر: روح المعانى ٢٦/٣٠ ، التسهيل لعلوم التنزيل ٤٧/١.

(5) انظر: الدر المصون ٥٧٥٢/١ ، اللباب ١٣٣/٢٠ ، التحرير والتنوير ٧٢/٣٠.

(6) [نافع] هو نافع بن عبد الرحمن الليثى ، كنيته أبو رويم ، كان عالماً بوجوه القراءات العربية ولد سنة ٧٠هـ ، وتوفى سنة ١٦٩هـ ـ انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ١٠٧/١ – ١١١ ت/ بشار عواد معروف ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤٠٤ هـ.

(7) [ابن عامر] هو عبدالله بن عامر اليحصبى ، إمام أهل الشام في القراءة ، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة ولى قضاء دمشق ، توفى سنة ثمان وعشر ومائة وهو من التابعين = انظر : المرجع السابق ٨٢/١.

(8) [الكسائى] هو على بن حمزة الكسائى ، الإمام أبو الحسن الأسدى مولاهم الكوفى المقرئ النحوى ولد في حدود ستة عشرين ومائة ، قرأ القرآن وجوده على حمزة الزيات ، قال

في الأول، والأخبار في الثانى ، وقرأ أبو جعفر[٢] وحده ، بالإخبار في الأول والاستفهام في الثانى ، والباقون بالاستفهام فيها.

وأبوعمر[٣] ويمدهما [آيناً ، أيزا] على الإستفهام

وابن كثير[٤] يستفهم بهما ولا يمد [أينا ، أيذا] يجعل بعد الهمزة ياء ساكنة"[٥]

ثانياً:- القراءات في: [الحافرة]

" هناك قراءة غير الحافرة ، فقد قرأ أبو حيوة[٦] ، وأبو بحرية[٧] ، وابن أبى

الشافعى: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائى توفى سنة تسع وثمانين ومائة عن سبعين سنة = انظر : المرجع السابق ١٢٠/١ ، سير أعلام النبلاء ١٣١/٩.

(١) [يعقوب] هو يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، قارئ أهل البصرة في عصره ، قرأ الأقران على أبى المنذر سلام بن سليم وبرع في الإقراء، قال أحمد بن حنبل: صدوق = كان عالماً بالعربية ووجوهها توفى بالبصرة سنة خمس ومائتين = انظر: معرفة القراء الكبار ١٥٧/١ ، العبر في خبر من غير، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ٣٤٨/١ ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) [أبو جعفر] هو يزيد بن القعقاع ، مدنى مشهور ، قرأ عليه نافع ، وابن جماز ، وابن وردان توفى سنة ١٢٧هـ = انظر : معرفة القراء الكبار ٧٢/١.

(٣) [أبو عمرو] هو زبان بن العلاء بن عمار المازنى البصرى ، ولد سنة ثمان وستين ، ينتهى إلى معد بن عدنان المقرئ النحوى ، أحد القراء السبعة ، قرأ القرآن على سعيد بن جبير ، ومجاهد ، توفى سنة أربع وخمسين ومائة = انظر : المرجع السابق ٢٣٠/١.

(٤) [ابن كثير] هو عبد الله بن كثير بن المطلب ، الإمام أبو معبد ، إمام المكيين في القراءة، أصله فارسى ، قال ابن معين: ثقة، ووثقة النسائى ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين وتوفى سنة عشرين ومائة = انظر : المرجع السابق ٨٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٣١٨/٥ ، شذرات الذهب ١٥٧/١.

(٥) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى، صـ٧٠ ت/ أنس مقرة ، ط : دار الكتب العلمية – لبنان – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ، السبعة في القراءات، لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى البغدادى، صـ٦٧٠ ت : د/ شوقى ضيف ، ط : دار المعارف – القاهرة – الثانية ١٤٠٠هـ ، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للشيخ عبد الفتاح القاضى، صـ٣٥٩ ، ط :مكتبة الكليات الأزهرية – بدون.

(٦) [أبو حيوة] هو شريح بن يزيد ، أبو حيوة الحضرمى الحمصى ، صاحب القراءة الشاذة، ومقرئ الشام ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مات في نحو سنة ثلاث ومائتين = انظر :غاية النهاية ١٤٣/١ ، تهذيب الكمال ٤٨٣/٧.

(٧) [أبو بحرية] هو عبد الله بن قيس ، أبو البركات السكونى ، الكندى ، الحمصى صاحب الاختيار في القراءة ، تابعى مشهور ، قرأ على معاذ بن جبل ، كان عالماً فاضلاً ، مات في خلافة الوليد مات بعد الثمانين = انظر : غاية النهاية ١٩٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٤/٤.

عبلة[١] [في الحفرة] بفتح الحاء وكسر الفاء على أنه صفة مشبهة من حفر اللازم ، وهى بمعنى المحفورة ، وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة" [٢].

← ثالثاً:- القراءات في: [نخرة]

" اختلف في [نخرة] فأبو بكر[٣] ، وحمزة[٤] ، والكسائى ، وخلف[٥] ، ورويس[٦] بألف بمد النون ، ووافقهم الأعمش[٧] ، ورقّق ورش[٨] راءه.

قال في [النشر] هذا الذى عليه العمل غير الكسائى وبه نأخذ ، وروى كثير

(١) [ابن أبى عبلة] هو إبراهيم بن أبى عبلة ، الإمام القدوة ، شيخ فلسطين ، من بقايا التابعين ، ولد بعد الستين ، وثقة يحيى بن معين ، والنسائى ، توفى سنة اثنين وخمسين ومئة = انظر : سير أعلام النبلاء ٣٢٣/٦.

(٢) انظر : روح المعانى ٢٧/٣٠ ، الكشاف ٦٩٤/٤.

(٣) [أبوبكر] هو عاصم بن أبى النجود والأسدى مولاهم الكوفى القارئ الإمام أبو بكر ، أحد السبعة ، وهو معدود في التابعين ، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة وتوفى سنة سبع وعشرين ومائة = انظر : معرفة القراء الكبار ٨١/١ ، وفيات الأعيان ٩/٣.

(٤) [حمزة] هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، أحد القراء السبعة ، كان إماماً حجة، كان إمام القراء بالكوفة توفى سنة ست وخمسين ومائة بحلوان = انظر : معرفة القراء الكبار ١١١/١ ، شذرات الذهب ٢٤٠/١

(٥) [خلف] هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادى ، مولده سنة خمسين ومائة، وله اختيار في الحروف صحيح ثابت ليس بشاذ أصلاً ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع، توفى سنة تسع وعشرين ومائتين = انظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٠ ، البدور الزاهرة، صـ٥.

(٦) [رويس] هو محمد بن المتوكل ، أبو عبد الله اللؤلؤى رويس المقرئ ، قرأ على يعقوب يعقوب وتصدر للإقراء ، توفى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين = انظر : معرفة القراء الكبار] ٢١٦/١ ، البدور الزاهرة، صـ٧.

(٧) [الأعمش] هو سليمان بن مهران الأعمش ، أبو محمد الأسدى الكاهلى ، الكوفى ، ولد ولد سنة ٦٠ هـ ، أخذ القراءة عن إبراهيم النخعى ، توفى سنة ١٤٨هـ ، انظر : غاية النهاية ٣١٦/١.

(٨) [ورش] هو عثمان بن سعيد المصرى ، لكنى أبا سعيد ، وورش لقبه لقب به فيما يقال يقال لشدة بياضه ولد بمصر سنة عشر ومائة وتوفى بها سنة سبع وتسعون ومائة = انظر: معرفة القراء الكبار ١٥٢/١ ، البدور الزاهرة، صـ٥.

من أئمتنا من المشارقة ، والمغاربة عن الدورى[1] عن الكسائى التخيير بين الوجهين ، فكان أبو عمر الدورى يروى عنه أنه كان لا يبالى كيف قرأها بألف أم بغير ألف، وقرأ الباقون بحذف الألف.

← والمعنى على قراءة إثبات الألف: أى: بالية ، وقيل: فارغة ، وقال آخرون: الناخرة: العظم المجوف الذى تمر فيه الريح فتنخر ، وقالوا: النخرة: البالية ، وحجتهم في ذلك: أن رؤوس الآيات بالألف نحو: الحافرة ، والرادفة، والراجفة ، والساحرة ، فالألف أشبه بمجئ التنزيل ، وبرؤوس الآيات.

← وحجة من قرأ بغير ألف: أن ما كان صفة منتظر لم يكن فهو بالألف ، وما كان وقع فهو بغير ألف" [2].

المطلب الخامس :البيان والتفسير

← قوله تعالى:-﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾

"للعلماء في تحديد المراد من الراجفة والرادفة أقوال هى على النحو الآتى:-

← الأول:- أن الراجفة: القيامة ، والرادفة: البعث ، قاله: ابن عباس.

← الثانى:- أن الراجفة: النفخة الأولى تميت الأحياء ، والرادفة: النفخة الثانية تحيي الموتى، وقد روى عن أبى كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – إذا ذهب ربع الليل قام وقال: "يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه....." [3]

---

(1) [الدورى] هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى ، النحوى ، والدور موضع ببغداد، ولد سنة بضع وخمسين ومئة في دولة المنصور توفى سنة ست وأربعين ومائتين = انظر : سير أعلام النبلاء ٥٤١/١١ ، البدور الزاهرة، صـ٦.

(2) انظر : إتحاف فضلاء البشر، صـ٥٧٠ ، السبعة في القراءات، صـ٦٧١ ، البدور الزاهرة، صـ٣٥٩ ، النشر في القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن الجزرى ٤٣٨/٢ ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، صـ٧٤٨، ت: سعيد الأفغانى، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية ١٤٠٢ - ١٩٨٢

(3) انظر: المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابورى ، كتاب : التفسير، باب : تفسير سورة الأحزاب ٤٥٧/٢ حديث رقم ٣٥٧٨ ، وعلق عليه الذهبى بقوله: صحيح ، ت : مصطفى عبد القادر عطا ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

← الثالث:- أن الراجفة: الزلزلة التى ترجف الأرض والجبال ، والرادفة: إذا دكتا دكة واحدة ، قاله: مجاهد

← الرابع:- أن الراجفة: أشراط الساعة ، والرادفة: قيامها.

← الخامس:- الراجفة: هى النفخة الأولى ، والرادفة: هى قيام الساعة ، من قوله: "عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون" [1] أى: القيامة التى يستعجلها الكفرة استبعاداً لها ، فهى رادفة لهم لاقترابها.

← السادس:- الراجفة: الأرض، والجبال من قوله: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾[2]والرادفة: السماء والكواكب لأنها تنشق وتنثر كواكبها على أثر ذلك" [3].

← قوله تعالى:-﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾

فيه وجهان :

← أحدهما:- خائفة ، قلقة ، مضطربة ، وجلة ، قاله ابن عباس ، وعليه عامة المفسرين.

← الثانى:- طائرة وزائلة عن أماكنها ، قاله: السدى ، والضحاك ، نظيره "قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾[4]والمراد: قلوب الكفار" [5]

---

(1) جزء من حديث أخرجه الشيخان ونصه: "ما بين النفختين أربعون..." انظر : الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المسمى بصحيح البخارى لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى ، كتاب : تفسير القرآن، باب : يوم ينفخ في الصور... – ١٨١٣/٤ حديث رقم ٤٥٣٦ من حديث سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه، ط : دار ابن كثير – اليمامة – بيروت الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، صحيح مسلم، كتاب: الفتن واشراط الساعة ، باب : ما بين النفختين ٢١٠/٨ حديث رقم ٧٦٠٣

(2) النمل: ٧٢.

(3) المزمل: ١٤.

(4) انظر: معالم التنزيل ٣٢٦/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٩ ، مفاتيح الغيب ٣٨/١٦ ، النكت والعيون ١٩٤/٦.

(5) غافر: ١٨.

قوله تعالى:﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾[1] فيه وجهان :

← أحدهما:- ذليلة ، قاله: قتادة.

← الثانى:- خاضعة ، قاله: الضحاك.

والمعنى: أبصار أصحابها، فحذف المضاف ، والمراد: أنها تظهر عليهم الذلة والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة كقوله:{خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ}الشورى/٤٥ ، قال عطاء: يريد أبصار من مات على غير الإسلام ، ويدل على هذا أن السياق في منكرى البعث" [2]

← قوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾فيه أربعة تأويلات:-

← أحدها:- أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تكذيباً بالبعث، أى: يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون ، قالوا منكرين متعجبين: أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر ، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم:-

﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [3] ، قاله: قتادة.

← الثانى:- أنها الأرض المحفورة التى تحفر فيها قبورهم ، فهى بمعنى المحفورة، كقوله تعالى:﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[4]أى: مدفوق ، وكقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[5] أى: مرضية ، والمعنى: أئنا لمردودون في قبورنا أحياء ، قاله: قاله: مجاهد ، والخليل[6] ، والفراء ، وقيل سميت الأرض الحافرة لأنها مستقر

(1) انظر: معالم التنزيل ٣٢٧/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١٩ ، النكت والعيون ١٩٥/٦.

(2) انظر: النكت والعيون ٣٧٧/٤ ، فتح القدير ٥٢٦/٥ ، زاد المسير ١٨/٩.

(3) الإسراء: ٤٩.

(4) الطرق: ٦.

(5) القارعة: ٧.

(6) [الخليل] هو الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى ، أبو عبد الرحمن البصرى ، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه، والأصمعى ، وأبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها من ذلك: كتاب العين ، ومعانى الحروف ، وعلم العروض وقد دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يُسبق إليه فرجع وفتح الله عليه بالعروض ، ولد بالبصرة

مستقر الحوافر ، كما سميت القدم أرضاً ، لأنها على الارض ، والمعنى: أئنا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشى على أقدامنا".

← الثالث:- أنها النار ، قاله: ابن زيد[1].

← الرابع:- أنها العاجلة ، أى: أئنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا " [2].

← قوله تعالى:- ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

↔ أحدها:- بالية متفتتة ، قاله: السدى

← الثانى:- عفنة ، قاله: ابن شجرة[3]

← الثالث:- خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر ، أى: تصوّت ، قاله: عطاء، والكلبى.

وقد انقسم العلماء في قراءة "نخرة" إلى قولين: "ناخرة" و"نخرة" والعلماء تجاه القراءتين على فريقين:-

* الأول:- أن الناخرة، والنخرة ، بمعنى واحد بمنزلة الطامع والطمِع ، والباخل والبخل ، والحاذر والحذر.

* الثانى:- أن النخرة غير الناخرة.

أما النخرة فهى من نخر العظم ينخر فهو نخِر ، وذلك إذا بلى وصار بحيث لو لمسته لتفتت ، وأما الناخرة فهى العظام الفارغة التى يحصل من هبوب

سنة ١٠٠هـ = انظر : بغية الوعاة ٥٥٧/١ ، معجم الأدباء ٧٢/١١ ، طبقات اللغويين والنحويين، للزبيدى، صـ٤٧.

(1) [ابن زيد] هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى المدنى، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسير القرآن في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، حدّث عن أبيه وابن= المنكدر وجماعة ، توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة = انظر: تقريب التهذيب ٤٨٠/١، سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨.

(2) انظر: البحر المحيط ٤١٣/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٩/١٩ ، النكت والعيون ٣٧٨/٤ ، زاد المسير ١٩/٩.

(3) [إبن شجرة] هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور القاضى الشجرى البغدادى، كان عالماً بالأحكام والقرآن وأيام الناس والأدب والتواريخ ، ولى قضاء الكوفة ، وكان متساهلاً في الحديث ، وتوفى سنة ٣٥٠هـ ـ انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤/١٢ ، طبقات الحنفية،لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، أبو محمد ٩٠/١ ، الأعلام ١٩٩/١.

الريح فيها صوت كالنخير.

وقال بعضهم:- الناخرة: التى أُكلت أطرافها وبقيت أوساطها ، والنخرة: التى فسدت كلها" [1]

← قوله تعالى:-﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾

" الكرة: الرجعة ، وفى المراد منها أقوال:-

← الأول:- باطلة لا يجئ منها شئ ، كالخسران وليست كاسبة ، قاله: يحيى بن سلام[2]

← الثانى:- معناه: لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرن بالنار ، قاله: قتادة ، ومحمد بن كعب[3] وإنما قالوا ذلك أنهم أوعدوا بالنار.

← الثالث:- إذا كنا ننتقل من نعيم الدنيا إلى عذاب الآخرة ، فهى كرة خاسرة.

← الرابع:- أن معنى خاسرة: كاذبة ، أى: ليست بكائنة ، قاله: الحسن.

← الخامس:- خاسرة على من كذب بها ، قاله: الربيع بن أنس".

والمراد من الآية:- أنها رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران، والمعنى: أنهم قالوا: إن رُددْنا بعد الموت لنخسرن بما يصينا بعد الموت مما يقوله محمد – صلى الله عليه وسلم – وهذا إستهزاء منهم" [4].

← قوله تعالى:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ فيه تأويلان:-

---

(1) انظر: معانى القرآن للفراء ١٨٠/٥ ، معانى القرآن للأخفش ٤٥/٤ ، معالم التنزيل ٣٢٧/٨ ، تفسير أبى السعود ٩٨/٩ ، مفاتيح الغيب ٣٩/١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٩.

(2) [يحيى بن سلام] يحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة، الإمام العلامة، أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بإفريقية، وكان ثقة ثبتا، عالما بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية، ولد سنة أربع وعشرين ومئة، وقال ابن يونس: مات بمصر بعد أن حج في صفر سنة مئتين رحمه الله، انظر: سير أعلام النبلاء٣٩٧/٩

(3) [محمد بن كعب] هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى، ، ولد في حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ولد في آخر خلافة علىّ سنة ستة وأربعين كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً ، ففيه عالم بالقرآن، مات سنة سبع عشرة وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل غير ذلك = انظر: تهذيب التهذيب ٣٧٣/٣ ، سير أعلام النبلاء ٦٥/٥.

(4) انظر: البحر المحيط ٤١٣/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٩، فتح القدير٥ / ٥٢٨، النكت والعيون ١٩٦/٦.

← الأول:- نفخة واحدة: يحيا بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون ، قاله: الربيع بن أنس.

← الثانى:- الزجرة: الغضب ، وهو غضب واحد ، قاله: الحسن.

والمعنى: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة ، فإنها هى صيحة واحدة ، أى: حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية ، عبر عنها بها تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها "[1].

← قوله تعالى:﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

↔ أحدها:- وجه الأرض ، بعدما كانوا في بطنها ، قال الفراء: سميت بهذا الاسم لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم ، والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر ، لأنه يُسهر فيها خوفاً منها ، فوصفها بصفة ما فيها ، قاله: ابن عباس، وعكرمة ، ومجاهد.

← الثانى:- الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها، من قولهم: عين ساهرة أى جارية الماء ، وفى ضدها نائمة ، وقيل لأن سالكها الاينام خوف الهلكة.

← الثالث:- أرض من فضة لم يعص الله – جل ثناؤه – عليها قط خلقها حينئذ قاله : الضحاك عن ابن عباس.

← الرابع:- هى أرض يجددها الله – عزوجل – يوم القيامة.

← الخامس:- الساهرة: اسم الأرض السابعة ، يأتى بها الله – تعالى – فيحاسب عليها الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض.

← السادس:- الساهرة: أرض الشام ، قاله: الثورى.

← السابع:- الساهرة: جبل بيت المقدس ، قاله: وهب بن منبه.

← الثامن:- الساهرة: اسم مكان بعينه من الأرض بالشام ، قاله: عثمان بن

(1) انظر: تفسير أبى السعود ٩٨/٩ ، روح المعانى ٢٨/٣٠ ، النكت والعيون ١٩٦/٦.

أبى العاتكة .[1]

← التاسع:- الساهرة: هى جهنم ، أى: فإذا هؤلاء الكفار في جهنم ، وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون عليها حينئذ.

← العاشر:- الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم ، أى: يوقفون بأرض القيامة ، فيدوم السهر حينئذ "[2].

المطلب السادس :المعنى الإجمالى للآيات

تتحدث الآيات الكريمات عن أهوال يوم القيامة بعد أن أقسم الله – تعالى – في الآيات السابقة ببعض مخلوقاته على أن البعث حق والجزاء على الأعمال خيرها وشرها لواقع، انتقلت بنا الآيات بعد ذلك لتحدثنا عن أهوال يوم القيامة وأن هذا البعث والجزاء سيقع عندما تتحرك الأرض وتضطرب الجبال وذلك في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾[3] وذلك عقب النفخة الأولى التى يموت بها جميع الخلائق وتليها النفخة الثانية التى تبعث بها جميع الخلائق، ثم تنتقل بنا الآيات لتحدثنا عن أحوال الكافرين والمنكرين لوقوع البعث والجزاء وعجباً لهم فليس من دأبهم سوى الإنكار والإستهزاء فهم لم يكلفوا أنفسهم قط عناء التفكير في هذا اليوم فلم يدركوا أن الحكمة تقتضى أن يكون للناس حياة أخرى يحاسب فيها كل إنسان على ما قدم في حياته ، فتخبرنا الآيات بأن قلوبهم في هذا اليوم ستكون وجلة مضطربة وأن أبصارهم ستكون حقيرة ذليلة مما عاينت من هول يوم القيامة، وقد حكى القرآن عنهم ثلاثة أقوال توضح مدى استبعادهم لوقوع هذا اليوم:-

← أولاً:-﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾أى: يقول هؤلاء المنكرون للبعث المستبعدون وقوعه ، إذا قيل لهم: إنكم ستبعثون مرة ثانية ، فيقولون: هل نرد مرة ثانية ونصير أحياء بعد موتنا ودفننا في القبور.

([1]) [عثمان بى أبى العاتكة] هو عثمان بن أبى العاتكة ، واسمه سليمان الأزدى ، أبو حفص الدمشقى القاص ، قال يحيى بن معين :ليس بالقوى ، وقال النسائى: ضعيف= مات سنة خمس وخمسين ومائة = انظر :تهذيب الكمال ٣٩٧/١٩ ، تقريب التهذيب ٦٦٠/١.

([2]) انظر: تفسير أبى السعود ٩٨/٩ ، روح المعانى ٢٨/٣٠ ، البحر المحيط ٤١٣/٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩١/١٩ ، النكت والعيون ٣٧٩/٤.

([3]) المزمل: ١٤.

← ثانياً:- ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ أى: كيف يتخيل رجوعنا مرة ثانية إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً بالية تتفتت.

← ثالثاً:- ﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ أي : إن صح ما تقولون فستكون هذه الرجعة فيها الخسران البيّن لتكذيبنا ما أخبرنا به محمد – صلى الله عليه وسلم – وذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم ، وقد جاء الرد عليهم من الله – تعالى – مخبراً إياهم بعدم إستبعاد وقوع هذا اليوم لأن هذا بالأمر الهين ولا صعوبة في تلك الكرة، فما هى إلا صيحة واحدة والمراد بها النفخة الثانية التى يبعث بها جميع الخلائق ، فإذا هم على وجه الأرض أحياء ، وصدق الله – تعالى – إذ يقول:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ (١)

المطلب السابع : ما ترشد إليه الآيات

١- إثبات عقيدة البعث والجزاء وذكر كيفية وقوعها.

٢- بيان عناد الكافرين ، وجدالهم في عقيدة البعث.

٣- عناية القرآن الكريم في كثير من سورة وآياته بإثبات ووقوع البعث والجزاء.

٤- بيان حال الكافرين عند معاينتهم لأهوال يوم القيامة.

٥- الإيمان بالغيبات والتى منها البعث أمر واجب.

٦- التزود بالعمل الصالح لهذا اليوم وهو من وصايا النبى – صلى الله عليه وسلم – .

٧- بيان قدرة الله – عزوجل – الخلاقة على البعث ، وأن هذا الأمر ليس فيه مشقة ولا صعوبة وإنما هو أمر هين ، لأنه تعالى على كل شئ قدير.

(١) لقمان: ٢٨.

المبحث الثالث

قصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع فرعون

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] وفيه مطالب:

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بينت الآيات السابقة موقف المشركين من البعث وإنكارهم له ، وبيان جزاء هذا الإنكار ، وما يجدونه من أهوال يوم القيامة شرع سبحانه وتعالى في سرد قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون معلماً بها رسول الله صلى الله عليه وسلم – تسلية وتثبيتا لقلب النبى – صلى الله عليه وسلم – وتخفيفاً عن فؤاده المكلوم من عدم إيمان قومه وتكذيبهم له ، فكأن الله – عزوجل – أراد أن يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: بأن ما تلاقيه من أذى، وتعنت، وتكذيب من مشركى مكة تعرض له أيضاً الأنبياء من قبلك وأن مصير تكذيبهم سيكون مصير ما حل بفرعون وقومه.

← وعن ارتباط هذه الآيات بما قبلها قال الإمام الرازى – رحمه الله –:–

" اعلم أن وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين:–

= الأول:– أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء في قولهم: ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ وكان ذلك يشق على محمد – صلى الله عليه وسلم – فذكر قصة موسى – عليه السلام – وبيّن أنه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم –.

= الثانى:– أن فرعون كان أقوى من كفار قريش، وأكثر جمعاً، وأشد شوكة ، فلما تمرد على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فكذلك هؤلاء المشركين في تمردهم عليك إن أصروا ، أخذهم الله وجعلهم نكالاً " [2]

([1]) النازعات: ١٥-٢٦.

([2]) انظر : مفاتيح الغيب٤٢/١.

المطلب الثانى :المفردات اللغوية

← قوله تعالى:-﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾

"الحديث: هو كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع ، أو الوحى في يقظته، أو منامه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾[1] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾[2] وقال عزوجل:﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[3] أى: ما يحدث به الإنسان في نومه ، فأصله: فعيل بمعنى فاعل: من حدث الأمر إذا طرأ وكان" [4].

← قوله تعالى:-﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

← النداء هو: " رفع الصوت وظهوره ، وقد يقال ذلك للصوت المجرد ، وإياه قصد بقوله:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾[5] أى: لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذى يقتضيه تركيب الكلام ، وأصل النداء: من الندى أى: الرطوبة ، يقال: صوت ندىّ رفيع" [6]

← [الوادى] ، أصل الوادى: "الموضع الذى يسيل فيه الماء ، منه سمى المفرج بين الجَبلين وادياً ، وجمعه: أودية ، نحو: ناد وأندية ، وناج وأنجية"[7].

← [المقدس] " المطهر المنزه ، وتقديس الأمكنة يكون بما يحل فيها من الأمور المعظمة"[8]

← [طوى] "قيل: هم اسم للوادى الذى حصل فيه ، وقيل: إن ذلك إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الاجتباء ، فكأنه طوى عليه مسافة لو احتاج أن

---

(1) التحريم: ٣.
(2) الغاشية: ١.
(3) يوسف: ١٠١.
(4) انظر : مفردات غريب القرآن ١١٠/١ ، روح المعانى ١٦٥/١٦.
(5) البقرة: ١٧١.
(6) انظر: المفردات ٤٨٧/١.
(7) انظر : المصدر السابق ٥١٨/١ ، بصائر ذوى التمييز ١٥٥٤/١
(8) انظر: التحرير والتنوير ١٩٥/١٦.

ينالها في الاجتهاد لبعد عليه ، وقيل هو مصدر طويت" [١]

← قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾

← [فرعون] " لقب ملك القبط بمصر في القديم ، وهو اسم معرب عن اللغة العبرانية ، ولا يعلم هل هو اسم للمَلك في لغة القبط ، ولم يطلقه القرآن إلا على ملك مصر الذى أرسل إليه موسى ، وأطلق على الذى في زمن يوسف اسم الملك، وفرعون: اسم أعجمى ممنوع من الصرف ، والجمع فراعنة كمقاصرة وأكاسرة ، وهو اسم لكل من مَلَك مصر" [٢]

← [طغى] "طغى يطغى ويطْغُو طغيانا: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر ، وأسرف في المعاصى والظلم ، وطغا السيل: ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة، وكل شئ جاوز المقدر والحد في العصيان فهو طاغ " [٣].

← قوله تعالى:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾

←[هل لك] " العرب تقول: هل لك في كذا ، أو هل لك إلى كذا ، حيث جرى هذا التركيب مجرى المثل عندهم لأنه قصد به الإيجاز ، وأما تَعديه بإلى ، أو بفى ، فيكون على تقدير: هل لك ميل أو حاجة أو سبيل إلى كذا ، وهل لك رغبة في كذا ، وهو كلام يقصد منه العرض ، والترغيب ، والمشورة ، كقولك للضعيف: هل لك أن تنزل عندنا ، فأمر الله – عزوجل – سيدنا موسى – عليه السلام – أن يخاطبه بالإستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمدارة من عتوه" [٤]

← [تزكى] " الزكاة: الزيادة ، وتطلق على الزيادة في الخير النفسانى ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[٥]، وزكا

(١) انظر : المفردات ٣١٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ١٠٦٣/١.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٧٥/٣٠ ، بصائر ذوى التمييز ١٧٦٨/١.
(٣) انظر: المفردات ٣٠٤/١ ، القاموس المحيط ١٦٨٥/١ ، المصباح المنير ٤٠٩/٥.
(٤) انظر : تفسير أبى السعود ٩٩/٩ ، التحرير والتنوير ٧٥/٣٠ ، حاشية الشهاب. المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى، لأحمد بن محمد بن شهاب الدين ٣١٥/٨ ، ط : دار صادر – بيروت.
(٥) الشمس: ٩ ، ١٠.

يزكو زكاء وزُكوّا: نما، وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله – تعالى – وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف الحميدة وفى الآخرة: الأجر والمثوبة.

وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد بكونه مكتسباً لذلك نحو:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾وتارة ينسب إلى الله – تعالى – لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة ، نحو:﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾[1] ، وتارة إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو "﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2] ، ونحو ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾[3] ، وتارة إلى العبادة التى هى آلة في ذلك ، نحو﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ﴾[4]

وتزكية الإنسان نفسه ضربان:-

= أحدهما: بالفعل، وهو محمود وإليه قصد بقوله:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ، وقوله:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [5]

= والثانى: بالقول كتزكية العدل غيره ، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله – تعالى – عنه ، فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾[6] ، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً ، وشرعاً ، ولهذا قيل لحكيم: ما الذى لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مَدْح الرجل نفسه" [7]

← قوله تعالى:- ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

← [وأهديك] "الهدى: بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة ، هَداه هُدى وهَدْيا وهداية وهِدْية بكسرهما: أرشده فهدى واهْتدى ، وهداه الله الطريق ، وله ، وإليه.

---

(1) النساء: ٤٩.
(2) التوبة: ١٠٣.
(3) البقرة: ١٥١
(4) مريم: ١٣.
(5) الأعلى: ١٤.
(6) النجم: ٣٢.
(7) انظر: المفردات ٢١٤/١ ، بصائر ذوى التمييز ٨٤٣/١ ، التحرير والتنوير ٧٧/٣٠.

والهداية: الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا قبلها المَهْدى ، والهداية: دلالة بلطف.

وهداية الله للإنسان على أربعة أوجه:-

= الأول:- الهداية التى عمّ بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية التى أعم منها كل شئ بقدر فيه حسب احتماله ، كما قال:﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (١)

= الثانى:- الهداية التى جُعلت للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك ، وهو المقصود بقوله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾(٢)

= الثالث:- التوفيق الذى يختص به من اهتدى ، وهو المَعْنِى بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴾ (٣) ، وقوله:﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾(٤)

= الرابع:- الهداية في الآخرة إلى الجنة المَعْنى بقوله :﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾(٥).

← [ربك] "الرب في الأصل: التربية ، وهو إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال: ربّه وربّاه وربيه ، فالرب مصدر مستعار للفاعل ، ولا يقال الرب مطلقاً إلى الله – تعالى – المتكفل بمصلحة الموجودات ، نحو قوله:﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾(٦) ، والربوبية: مصدر مصدر يقال في الله – عزوجل – ، والربابة تقال في غيره ، وجمع

(١) طه: ٥٠.
(٢) السجدة: ٢٤.
(٣) محمد: ١٧.
(٤) التغابن: ١١.
(٥) محمد: ٥.
(٦) انظر: المفردات ٥٣٨/١ ، التحرير والتنوير ٧٧/٣٠ ، تاج العروس ٨٦٦٢/١ ، القاموس المحيط ١٧٣٣/١.

الرب أرباب ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[1] ولم يكن من حق الرب أن يُجمع إذا كان إطلاقه لا يتناول إلا الله – تعالى – ، لكن أتى بلفظ الجمع فيه على حسب اعتقاداتهم لا على ما عليه ذات الشئ في نفسه ، والرب لا يقال في التعارف إلا في الله"[2].

← [فتخشى] " الخشية: الخوف ، خَشِىَ الرجل يَخشى خَشْية: أى خاف فالخشية: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشى منه ، ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[3] ، والخشية أخص من الخوف ، فإن الخشية للعماء بالله – تعالى – كما تقدم ، فهى خوف مقرون بمعرفة ، فالخشية: الخوف ، فإذا أطلقت في لسان الشرع يراد بها خشية الله – تعالى – ولهذا نزل فعلها هنا منزلة اللازم ، فلم يذكر له مفعول ، لأن المخشى معلوم مثل فعل الإيمان في لسان الشرع ، يقال: آمن فلان ، وفلان مؤمن ، أى: مؤمن بالله ووحدانيته" [4].

← قوله تعالى:–﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾

← [الآية] " الآية: العلامة الظاهرة ، وحقيقته: لكل شئ ظاهر هو ملازم لشئ لا يظهر ظهوره ، فمتى أدرك مُدْرك الظاهر منها علم أنه أدرك الآخر الذى لم يدركه بذاته ، إذْ كان حكمها سواء ، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات ، وإشتقاق الآية ، إما من: أىّ ، فإنها هى التى تبين أيًّا من أىّ، أو من قولهم: [أوى إليه] ، والصحيح أنها مشتقة من [التأيّى] الذى هو التثبت والإقامة على الشئ.

فالآية: العلامة، والأمارة، وتطلق على الحجة المثبتة لأنها علامة على ثبوت الحق، وتطلق على معجزة الرسول لأنها دليل على صدق الرسول وهو المراد هنا" [5].

---

(1) سبأ: ١٥.
(2) انظر : المفردات ١٨٥/١ ، بصائر ذوى التمييز ٧٩١/١.
(3) فاطر: ٢٨.
(4) انظر : المفردات ١٤٩/١ ، بصائر ذوى التمييز ٧٢٤/١ ، التحرير والتنوير ٧٨/٣٠، لسان العرب ٢٢٨/١٤.
(5) انظر : المفردات ٣٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ٤١٨/١ ، التحرير والتنوير ٧٨/٣٠.

← قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾

← [أدبر] "حقيقة الإدبار: هو المشى إلى الجهة التى هى خلْف الماشى بأن يكون متوجهاً إلى جهة ثم يتوجه إلى جهة تعاكسها ، ودبر فلان القوم: صار خلفهم ، وأدبر: أعرض وولى دبره" (١).

← [يسعى] "السّعى: المشى السريع ، ويستعمل للجد خيراً كان أو شراً ، وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة ، فحقيقة السعى: شدة المشى" (٢).

← قوله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾

← [فحشر] "يقال: حَشَرَ يحْشُر بالضم ، و: يَحْشِر بالكسر حَشْراً: إذا جمع وساق، فالحشر: الجمع والسَّوْق ، والحشْرُ: جمع الناس يوم القيامة ، والحشر: هو إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها ، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة " (٣)

← قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾

← [فأخذه] "الأصل فيه: حَوْز الشئ وتحصيله ، وذلك تاره يكون بالتناول كقوله: أخذنا المال ، وتارة بالقهر ، نحو قوله تعالى:- ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾(٤) ، وحقيقة الأخذ: التناول باليد ، ويستعار كثيراً للقدرة، والغلبة ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٥) " (٦).

(٦).

(١) انظر: المفردات ١٦٤/١ ، بصائر ذوى التمييز ٧٥٤/١ ، التحرير والتنوير ٧٩/٣٠.
(٢) انظر: المفردات ٢٣٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ٨٩٣/١ ، التحرير والتنوير ٧٩/٣٠ ٧٩/٣٠ ، تاج العروس] ٨٤٣٢/١.
(٣) انظر : المفردات ١١٩/١ ، التحرير والتنوير ٧٩/٣٠ ، بصائر ذوى التمييز ٦٧٣/١ ، لسان العرب ١٩٠/٤.
(٤) هود: ٦٧.
(٥) القمر: ٤٢.
(٦) انظر : المفردات ١٢/١ ، التحرير والتنوير ٨١/٣٠ ، بصائر ذوى التمييز ٤٤٢/١.

← [نكال] " النكال: اسمها مصدر لما جعل نكالاً للغير ، يقال: نكل فلان بفلان إذا ألحقه عقوبة ، والكلمة من الامتناع، ومنه النكول عن اليمين ، والنِّكْلُ: القيد الشرير ، والنكال بمنزلة التنكيل ، كالسلام بمعنى التسليم ، وهو التعذيب الذى ينكل من رأه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى إليه ، والنكال: مشتق من النكول وهو النكوص والهروب ، ونكل به تنكيل: صنع به صنيعاً يُحذِّر غيره ، ونكل الرجال: قَبِل النكال" [1]

المطلب الثالث : الإعراب

← قوله تعالى:- ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾

← "جملة مستأنفة" [2] وقداختلف العلماء في "هل" على أقوال:-

= الأول:- حرف استفهام تقرير يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التأسى ، فهو تقرير لتجتمع نفس المخاطب ، كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب فتقرره هل سمع ذلك أم لا ، فكأنك تقتضى أن يقول لا ، ويستطعمك الحديث ، وفيه تفخيم للحديث ، وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإنما عرفه بالوحى.

= الثانى:- أن هل بمعنى [قد] أى: قد أتاك.

= الثالث:- قيل إنه إستفهام معناه النفى ، أى: ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ، ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى" [3]

← وعن القول الأول ، والثالث قال الإمام أبو السعود – رحمه الله – :-

"معنى "هل أتاك"إن إعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كأنه قيل:هل أتاك حديثه أنا أخبرك به. وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر مع الإيجاز في الإقتصاص حمله

(1) انظر: روح المعانى٣٠/٣٠،اللباب ١٤/٢ التحرير والتنوير ٨١/٣٠ ، لسان العرب ٦١١/١١.
(2) انظر : روح المعانى ٢٨/٣٠ ، فتح القدير ٥٢٩/٥.
(3) انظر : البحر المحيط ٢١٥/٦ ، المحرر الوجيز ١٥٩/٥.

عليه الصلاة والسلام على أنه يقرر أمر يعرفه قبل ذلك ، لأنه قيل: أليس قد أتاك حديثه" [١].

← ومعنى كلام الإمام أبو السعود – رحمه الله – أن له في تفسير [هل] وجهين للتقرير ، يمكن حمل الاستفهام عليها:-

= الوجه الأول:- مبنى على أن الاستفهام هنا للنفى ، بمعنى أن مجئ قصة سيدنا موسى – عليه السلام – في هذه السورة كان أو ما أتى وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة.

= الوجه الثانى: مبنى أن الإستفهام هنا للتقرير ، بمعنى أن هذه القصة قد سبق للنبى – صلى الله عليه وسلم – معرفتها والوقوف على تفاصيلها في غير هذه السورة.

← وأميل إلى ترجيح القول بأن [هل] هنا للإستفهام ، لأنه الذى يتناسب مع سياق وظاهر الآيات.

* وعن ترجيح هذا القول قال الإمام الألوسى – رحمه الله:-

" وليس [هل] بمعنى [قد] على شئ من الوجهين" [٢]

← قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

← [إذ] "ظرف لما مضى من الزمان ، يضاف إلى الجملة الإسمية ، والفعلية، بخلاف [إذا] فإنه ظرف لما يستقبل من الزمان ، ولا يضاف إلا إلى الجملة الإسمية" [٣].

← ومن ناحية الإعراب فهو "ظرف زمان للحديث ، في قوله تعالى "حديث" لا لفعل "أتاك" لإختلاف وقتيهما ، واستعمل هنا في الماضى وهو بدل من "حديث موسى" بل اشتمال ، لأن حديثه يشتمل على كلام الله إياه وغير ذلك ، وجوز

(١) انظر: تفسير أبى السعود ٩٩/٩.
(٢) انظر: روح المعانى ٢٩/٣٠.
(٣) انظر: شرح المفصل للنحوى ابن على بن يعيش ٩٥/٤ ط : دار الطباعة المنيرية بمصر.

كونه مفعول "اذكر" مقدراً " [1]

← [بالواد] "الجار والمجرور متعلق بـ "ناداه" [2]

← [طوى] "عطف بيان من "الواد المقدس" أو بدل منه" [3]

← قوله تعالى:- ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾

[اذهب إلى فرعون] "بيان لجملة "ناداه ربه" [4]

" وقوله: "اذهب" يجوز أن يكون تفسيراً للنداء ، أى: ناداه اذهب ، ويجوز أن يكون على إضمار القول ، تقديره: قال له ، أو قائلاً له: اذهب إلى فرعون ويجوز أن يكون في محل نصب على تقدير "أن المفسرة" ويدل له قراءة عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – "أن اذهب" و "أن" هذه الظاهرة، أو المقدرة يحتمل أن تكون تفسيرية ، وأن يكون مصدرية أى: ناداه بكذا" [5]

←[إنه طغى] " تعليل للأمر في قوله: "اذهب" ولذلك افتتحت بحرف "إن" الذى هو للإهتمام ويفيد مفاد التعليل" [6]

← قوله تعالى:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾

← [هل لك] "خبر مبتدأ مضمر، وهو حذف شأنه، والتقدير: هل لك سبيل إلى التزكية، ومثله: هل لك في الخير، تريد: هل لك رغبة في الخير.

← [إلى أن تزكى] "متعلق بذلك المبتدأ المحذوف" [7]

←قوله تعالى: ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ "جملة "أهديك" معطوفة على جملة تزكى، وجملة "فتخشى" معطوفة على جملة "أهديك" [8]

← قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾"جملة مستأنفة ، والفاء: فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها في موضع آخر ، يقتضيه قوله:{اذهب

---

(1) انظر : روح المعانى ٢٨/٣٠ تفسير أبى السعود ١٠٠/٩ ، التحرير والتنوير ٧٤/٣٠.
(2) انظر : مشكل إعراب القرآن، أ.د / أحمد بن محمد الخراط ، صـ٥٨٤.
(3) المصدر السابق.
(4) انظر : التحرير والتنوير ٧٥/٣٠.
(5) انظر : الدر المصون ٥٧٥٣/١ ، روح المعانى ٢٨/٣٠ ، اللباب ١٣٦/٢٠.
(6) انظر : روح المعانى ٢٩/٣٠ ، تفسير أبى السعود ٩٩/٩ ، التحرير والتنوير ٧٥/٣٠.
(7) انظر : الدر المصون ٥٧٥٣/١ ، روح المعانى ٢٩/٣٠ ، اللباب ١٣٦/٢٠.
(8) انظر مشكل إعراب القرآن، للخراط ، صـ٥٨٤.

إلى فرعون} والتقدير: فذهب فدعاه فكذبه فأراه الآية الكبرى "والآية" مفعول ثان لـ "أرى" والأول: الضمير البارز في "أراه" الذى يعود على فرعون" [1]

← قوله تعالى:- ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾

" جملة "فكذب" معطوفة على جملة "أراه" " [2]

← قوله تعالى:-﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴾

" "ثم" حرف عطف للدلالة على التراخى الرتبى كما هو شأنها في عطف الجمل فأفادت "ثم" أن مضمون الجملة المعطوفة بها أعلى رتبة في الغرض الذى تضمنته الجملة قبلها ، أى: إنه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشد وهو الادبار، والسعى، وإدعاء الألوهية لنفسه" [3]

← قوله تعالى:-﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾

" عطف على جملة "يسعى" ، ولم يذكر مفعول "فحشر" ، "فنادى" إذ المراد فعل ذلك، أو يكون التقدير: حشر قومه فناداهم ، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، أى: فنادى فحشر ، لأن النداء قبل الحشر" [4]

← قوله تعالى:-﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾

" "فقال" تفسير النداء في قوله: "فنادى" ، والجملة بدل من جملة "فنادى" بدلاً مطابقاً بإعادة حرف العطف ، وهو الفاء ، ويجوز أن تكون الجملة عطفاً على جملة "يسعى" على أن يكون فرعون أمر بهذا القول في أنحاء مملكته وليس قاصراً على إعلانه في الحشر الذين حشرهم حول قصْرِه "والأعلى" نعت " لربكم" [5]

← قوله تعالى:-﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾

" الجملة مفرعة عن الجمل التى قبلها ، أى: كان ما ذكر من تكذيبه وعصيانه، وكيده سبباً لأن أخذه الله.

---

(1) انظر : روح المعانى ٢٩/٣٠ ، التحرير والتنوير ٧٨/٣٠ ، مشكل إعراب القرآن، للخراط ، صـ٥٨٤.
(2) انظر : مشكل إعراب القرآن، للخراط ، صـ٥٨٤.
(3) انظر : التحرير والتنوير ٧٩/٣٠.
(4) انظر: الدر المصون] ٥٧٥٤/١ اللباب ١٣٩/٢٠ ، التحرير والتنوير ٧٩/٣٠.
(5) انظر : المصادر السابقة ، مشكل إعراب القرآن، للخراط ، ص٥٨٤.

وفى قوله: ﴿ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ ﴾

١- يجوز أن يكون مصدراً لـ "أخذ" ، والتجوز: إما في الفعل ، أى: نكَّل بالأخذ نكال الآخرة ، وإما في المصدر ، أى: أخذه ، أخْذ نكال.

٢- أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة المتقدمة ، أى: نكّل الله به نكال الآخرة.

٣- أن يكون مفعولاً له ، أى: لأجل نكاله.

٤- أن يكون منصوباً بنزع حرف الصفة أى: فأخذه الله بنكال الآخرة ، فلما نُزع الخافض نُصب" [١]

← قوله تعالى:-﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

"الجملة في معنى البيان لمضمون جملة "هل أتاك حديث موسى" والإشارة بقوله: "في ذلك" إلى حديث موسى ، وما قصصنا عليك يا محمد اعتباراً، وعظة لمن يخاف، وتنوين "عبرة" للتعظيم ، لأن في هذه القصة مواعظ كثيرة" [٢]

المطلب الرابع : البلاغة

اشتملت الآيات على ضروب من البلاغة منها:-

← أولاً:- قوله تعالى:- ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾

" أسلوب تشويق ، يقصد من أمثاله: تشويق السامع إلى الخبر من غير قصد إلى استعلام المخاطب عن سابق علمه بذلك الخبر" [٣].

← ثانياً:- قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾

" والإدبار والسعى مستعملان في معنيهما المجازيين ، فإن حقيقة الإدبار هو المشى إلى الجهة التى هى خلف الماشى بأن يكون متوجهاً إلى جهة ثم

(١) انظر: التحرير والتنوير ٨١/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٤/١ ، اللباب ١٤٠/٢٠ ، الكشاف ٦٩٦/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٩.

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٨٣/٣٠ ، اللباب ١٤١/٢.

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٧٨/٣٠.

يتوجه إلى جهة تعاكسها وهو هنا مستعار[1] للأغراض عن دعوة الداعى.
وأما السعى فحقيقته: شدة المشى ، وهو هنا مستعار للحرص والإجتهاد في أمره للناس بقدم الإصغاء لكلام موسى" [2].

← ثالثاً:- قوله تعالى:- "فحشر فنادى"

" وإسناد الحشر والنداء إلى فرعون مجاز عقلى[3] لأنه لا يباشر بنفسه حشر الناس ولا نداءهم ولكن يأمر أتباعه وجنده، وإنما أسند إليه لأنه الذى يأمر به" [4].

← رابعاً:- قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾

" الطباق[5] بين الآخرة والأولى"

المطلب الخامس :القراءات

← قوله تعالى:-﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

" قوله: "طوى" يقرأ "طوى" بالضم والتنوين وهى قراءة ابن عامر وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأماله وقفا حمزة ، والكسائى ، وخلف والكوفيون بتوينه مع كسره وصلاً ، وإبداله ألفاً وقفاً ، وقرأ نافع ، وابن كثير، وأبو عمرو "طوى" بغير تنوين في الحالين.

قال الزجاج: فمن لم ينون ترك صرفه من وجهين:-

= أحدهما:- أن يكون معدولاً عن "طاو" فيصير مثل عمر المعدول عن عامر فلا يصرف كما لا ينصرف عمر.

= الثانى:- أن يكون اسماً للبقعة ، كما قال عز وجل: { فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ

---

(1) [الاستعارة] هى: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى= انظر: جواهر البلاغة، صـ٢٣٩.

(2) انظر: التحرير والتنوير ٧٩/٣٠.

(3) انظر : المصدر السابق ٨٠/٣٠

(4) انظر : المصدر السابق ٨٠/٣٠

(5) [الطباق]هو الجمع بين الضدين في كلام أو في بيت شعر كالإيراد والإصدار ، والليل والنهار ، والبياض والسواد = انظر : كتاب الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ص ٨٤٥ ، ت : عدنان درويش ـ محمد المصري ط : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

مِنَ الشَّجَرَةِ }القصص/٣٠، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث وهما فرعان لأن التنكير أصل والتعريف فرع عليه ، والتذكير أصل والتأنيث فرع فلما اجتمع فيه علتان شبه بالفعل فمنع مالا يكون إعراباً في الفعل.

← ومن ينونه فهو اسم الوادى وهو مذكر فصرفه لأنه لم تجتمع فيه علتان تمنعانه الصرف".

= والاختيار: ترك صرفه ليوافق الآى التى قبله" (١)

← قوله تعالى:- ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

" قوله: "تزكى" قرأ ابن كثير ، ونافع "أن تزكى" مشددة الزاى ، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى "تزكى" خفيفة الزاى والأصل "تتزكى" فمن أدغم التاء في الزاى ، ومن خفف حذف إحدى التاءين.

ومعنى التشديد: أن يتفعل من الزكاة ، أى يتصدق ومعنى التخفيف أن يكون زاكياً " (٢)

المطلب السادس :البيان والتفسير

← قوله تعالى:- ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾

{أى: هل جاءك وبلغك خبر موسى فيما اجتباه ربه لنبوته وحمله من رسالته فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم" (٣)

← قوله تعالى:-﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ويكون

← قوله:- [الواد] "أصل الوادى: الموضع الذى يسيل فيه الماء بين الجبال والتلال، ومنه سمى المفْرج بين الجبلين وادياً والجمع أودية ، وأصله بياء في

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر، صـ٥٧٠ ، حجة القراءات، صـ٤٥١ ، إملاء ما منّ به الرحمن ١١٩/٢ ، الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد خالويه، صـ٢٤٠ – ت: د/ عبد العال سالم مكرم ، ط : دار الشروق – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

(٢) انظر : حجة القراءات، صـ٧٤٨ ، الحجة في القراءات السبع، صـ٣٦٢ ، إتحاف فضلاء البشر، صـ٥٧١.

(٣) انظر: تفسير البيضاوى ٤٤٧/١ ، المحرر الوجيز ١٣٥/٢٠ ، التحرير والتنوير ٧٤/٣٠.

آخره وكثر تخفيفه بحذف الياء كما في هذه الآية.

= وفى تأويله قولان:-

= أحدهما:- هو واد بأيلة[1] ، وهو قول مبشر بن عبيد[2]

= الثانى:- هو واد بفلسطين ، وهو قول الحسن" [3]

← قوله: [المقدس] "المبارك المنزه المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه ، وتقديس الأمكنة يكون بما يحل فيها من الأمور المعظمة، وهو هنا لحلول الكلام الموجه من قِبَل الله – تعالى –

أو سمى مقدساً لوقوعه في حدود الأرض المقدسة المطهرة عن الشرك" [4].

← قوله: [طوى] " في طوى خمسة أقوال:-

= أحدهما:- أنه اسم الوادى المقدس الذى حصل فيه ، قاله: مجاهد، وقتادة، وعكرمة.

= الثانى:- لأنه مرّ بالوادى فطواه ، قاله: ابن عباس.

= الثالث:- لأنه طوى بالبركة ، قاله الحسن.

= الرابع:- يعنى: طأ الأرض بقدمك ، قاله: عكرمة ومجاهد.

= الخامس:- أنه جبل بالشام.

= السادس:- واد بين المدينة، ومصر ، قاله: الفراء.

= السابع:- أنه ما تضاعف تقديسه حتى تطهر من دنس المعاصى ، مأخوذ من طىّ الكتاب إذا ضوعف" [5]

---

(1) [أيلة] بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام ، وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام، وهى مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير ، وهى مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير = انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموى ٢٩٢/١ ط : دار الفكر – بيروت.

(2) [مبشر بن عبيد] هو مبشر بن عبيد القرشى ، أبو حفص الحمصى ، كوفى الأصل ، قال مرة: ليس بشئ يضع الحديث ، وقال الدارقطنى: متروك الحديث ، وقال البخارى: منكر الحديث = انظر: تهذيب التهذيب ٣٠/١٠ ، تهذيب الكمال ١٩٤/٢٧.

(3) انظر: روح البيان ٢٩٤/١٠ ، النكت والعيون ١٩٧/٦ ، التحرير والتنوير ١٩٧/١٦.

(4) انظر: المصادر السابقة ، الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١١.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١١ ، النكت والعيون ١٩٧/٦ ، فتح القدير

← والراجح أن طوى اسم للوادى المقدس ، وهو ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور – رحمه الله – حيث قال: " والظاهر أن طوى اسم لصنف من الأودية" (١).

← قوله تعالى:- ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾

" على إرادة القول ، أى: فقال له: اذهب إلى فرعون وادْعه إلى الإسلام ، لأنه طغى على الخالق وجاوز الحد فى الطغيان والتكبر بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستبعدهم ، فكما أن كمال العبودية لا يكون إلا بالصدق مع الحق وحسن الخُلق مع الخَلْق ، فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما" (٢).

← قوله تعالى:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾

{ "هل لك" رغبة وتوجه وميل ، وهو عرض وترغيب كما في قوله تعالى:- ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٣)

﴿ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ وفيه أقوال:-

= أحدها:- إلى أن تُسْلم ، قاله: قتادة.

= الثانى:- إلى أن تعمل خيراً ، قاله: الكلبى.

= الثالث:- تتزكى وتتطهر من الشرك.

= الرابع:- إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله ، قاله: ابن عباس.

= الخامس:- إلى أن تتطهر من دنس الكفر، والطغيان، ووسخ الكدورات البشرية ، والقاذورات الطبيعية" (٤)

← قوله تعالى: ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٩٧/١٦.

(٢) انظر : مفاتيح الغيب ٤٣/١٦ ، روح البيان ١٤٩/١ ، بحر العلوم، لأبى الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى ٣٩٣/٢ ، ت : د/ محمود مطروحى، ط : دار الفكر – بيروت.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) انظر: معالم التنزيل ٣٢٨/٨ ، روح البيان ٢٤٩/١٠ ، النكت والعيون ١٩٧/٦ ، التحرير والتنوير ٧٥/٣٠.

" يقول تعالى ذكره لنبيه موسى: قل لفرعون: هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضى ربك فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه ، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه ، وأرشدك أيضاً إلى معرفته عزوجل فتعرفه فتخشى ، إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[1] "[2]

← قوله تعالى:-﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾

اختلف العلماء في تحديد المراد من الآية الكبرى على أقوال:-

= أحدها:- قلب العصا حية ، قاله عطاء ، وابن عباس.

= الثانى:- هى اليد البيضاء تبرق كالشمس ، قاله: مقاتل، والكلبى.

= الثالث:- هى العصا واليد معاً ، قاله: مجاهد ، والحسن ، وقتادة.

= الرابع:- فلق البحر.

= الخامس:- هى مجموع معجزاته ، فإنها بإعتبار دلالتها كالآية الواحدة"[3].

← والراجح هو القول الأول ، وذلك لسببين:-

= الأول:- " أنها كانت المقدمة والأصل ، والأخرى كالتبع لها ، ..... ولا ساغ لحملها على مجموع معجزاته ، فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة ، ولا شك في أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد.

فكان قلب العصا حية مقدماً على الكل في الإرادة ، فينبغى أن يكون هو المراد على ما تقتضيه إلغاء التعقيبية" [4]

= الثانى:- " أنه ليس في اليد إلا انقلاب لونها ، وهذا حاصل في العصا ،

---

(1) فاطر: ٢٨.

(2) انظر: جامع البيان ٢٠١/٢٤ ، روح البيان ٢٤٩/١٠ ، روح المعانى ٢٩/٣٠.

(3) انظر: جامع البيان ٢٠٢/٢٤ ، تفسير البيضاوى ٤٤٧/١ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٩، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربينى ٥٠٧٧/١ ، ط : دار المعرفة – بيروت ـ الثانية.

(4) انظر : تفسير أبى السعود ١٠٠/٩ ، روح البيان ٢٤٩/١٠.

لأنها لما إنقلبت حية لابدّ وأن يتغير اللون الأول ، فإذا كل ما في اليد فهو حاصل في العصا ، وأمور أُخر ، وهى الحياة في الجرم الجمادى ، وتزايد أجزائه ، وحصول القدرة الكبيرة ، والقوة الشديدة ، وابتلاعها أشياء كثيرة ، وزوال الحياة والقدرة عنها ، وذهاب تلك الأجزاء التى عظمت ، وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية ، وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزاً مستقلاً في نفسه، فعلمنا أن الآية الكبرى هى العصا ، وهو الأولى"[1].

← قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾

" أى: فتسبب عن رؤيته ذلك أن كذب موسى – عليه السلام – فيما أتاه من الآيات المعجزة ، وعصى الله – تعالى – فيما أمره به من طاعته وخشيته إياه بعد ظهور الآية وتحقيق الأمر ، وقيل: كذب بالقول ، وعصى بالتمرد والتجبر".

وقيل المراد بعصيانه: "عصيان أمر الله أن يوحده ، أو أن يطلق بنى إسرائيل من استعبادهم وتسخيرهم للخدمة في بلاده" [2].

← قوله تعالى:-﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾

← قوله: [ثم أدبر] " أى: ولى معرضاً عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه والإيمان به وخشيته، وتوحيده ، بعد المهل، والأناة إعراضاً عظيماً بالتمادى على أعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد طويلة.

← قوله: [يسعى] فيه أقوال:-

= أحدها:- يعمل في معصية الله وفيما يسخطه عليه.

= الثانى:- يعمل بالفساد في الأرض.

= الثالث:- ساعياً مجتهداً في إبطال أمره عليه السلام ، ويجتهد في مكايدته.

= الرابع:- أو أنه لما رأى الثعبان أدبر هارباً مرعوباً يسعى ، أى: يسرع في مشيته" [3].

---

(1) انظر: السراج المنير ٥٠٧٧/١.
(2) انظر: جامع البيان ٢٠٢/٢٤ ، السراج المنير ٥٠٧٧/١.
(3) انظر :المصادر السابقة ، روح المعانى ٣٠/٣٠.

← قوله تعالى:﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾

" أى: فتسبب عن إدباره أنه حشر وجمع قومه وأخذ ينادى ، فيهم ، والمراد من الحشر والنداء أقوال:-

= أحدها:- جمع السحرة للمعارضة.

= الثانى:- جمع جنوده للقتال والمحاربة.

= الثالث:- جمع الناس للحضور ليشاهدوا ما يقع.

= الرابع:- جمع الناس ليمنعوه من الحيلة" [1]

← قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

" لما اجتمع القوم قام عدو الله على سريره، فقال: أنا ربكم الأعلى، وفى المراد منه أقوال:-

= أحدها:- أى: لا رب فوقى.

= الثانى:- وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربها وربكم.

= الثالث:- وقيل: أمر مناديا فنادى في الناس بذلك.

= الرابع:- وقيل: قام فيهم خطيباً فقال ذلك.

= الخامس: وقيل: أراد القادة والسادة، هو ربهم، وأولئك هم أرباب السفلة" [2]

← والراجح هو الأول وهو ما ذهب إليه الإمام الشوكانى – رحمه الله – حيث قال:-" والأول أولى لقوله في آية أخرى: ما علمت لكم من إله غيري [3] " [4]

← قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾

اختلف العلماء في تحديد المراد من الآخرة والأولى على أقوال هى على النحو

(1) انظر: السراج المنير ٥٠٧٨/١ النكت والعيون ١٩٨/٦ ، فتح القدير ٥٣٠/٥.
(2) انظر: الكشاف ٦٩٦/٤ ، روح البيان ٢٥٠/١٠ ، السراج المنير ٥٠٧٨/١ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٩.
(3) القصص: ٣٨.
(4) انظر: فتح القدير ٥٣٠/٥.

الآتى:-

= " أحدها:- عقوبة الدنيا والآخرة ، فعذبه الله في الدنيا بالغرق ، وفى الآخرة بالنار ، قاله: الحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس.

= الثانى:- عذاب أول أعماله وآخرها ، قاله: مجاهد.

= الثالث: أراد بالآخرة والأولى كلمتى فرعون ، قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ ، وقوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾وكان بينهما أربعون سنة ، قاله: ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبى، ومقاتل ، والفراء.

= الرابع:- عذاب الأولى: الإمهال ، والآخرة في النار ، قاله: الربيع بن أنس"[1]

← قوله تعالى:- ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

" أى: فيما ذكر من قصة فرعون مع موسى وما فُعل به لعبرة، وعظة عظيمة لمن شأنه أن يخشى الله ، لأن الخشية أساس الخير ، والذى يخشى الله من شأنه المعرفة ، يعنى: أن العارف بالله وبشؤونه يخشى منه ، فلا يتمرد وعلى الله ولا على أنبيائه خوفاً من نزول العذاب ، والعاقل من وعظ بغيره" [2]

(1) انظر: معالم التنزيل ٣٢٩/٨ ، النكت والعيون ١٩٨/٦ ، البحر المحيط ٤١٤/٨ ، زاد المسير ٢١/٩.

(2) انظر: روح البيان ٢٥١/١٠٠ ، فتح القدير ٥٣٠/٥ ، السراج المنير ٥٠٧٨/١.

المطلب السابع :من لطائف الآيات

اشتملت الآيات على بعض اللطائف والدقائق منها:-

← اللطيفة الأولى:- ما الحكمة من تقديم التزكية في قوله:﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ على الخشية في قوله:﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾؟

"الحكمة من ذلك: تقديم التخلية على التحلية ، إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ أى: العلماء بالله" (١).

اللطيفة الثانية:- ما السبب في الاقتصار على ذكر الخشية وجعلها غاية للهداية؟

" لأنها ملاك الأمر ، لأن من خشى الله – تعالى – أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل" (٢)" (٣)

← اللطيفة الثالثة:- لماذا أعقب جملة﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ بجملة﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾؟

" للدلالة على شدة عناده، ومكابرته حتى أنه رأى الآية فلم يتردد ولم يتمهل حتى ينظر في الدلالة ، بل بادر إلى التكذيب والعصيان" (٤)

← اللطيفة الرابعة:- فإن قيل: كل من كذب الله فقد عصى ، فما فائدة قوله: "فكذب وعصى" ؟

" الجواب: أنه كذّب بالقول ، وعصى بالتمرد والتجبر" (٥).

← اللطيفة الخامسة:- ما السر في الإتيان بـ "ثم" في قوله: "ثم أدبر

---

(١) انظر: روح المعانى ٢٩/٣٠ ، روح البيان ٢٤٩/١٠.

(٢) انظر: الجامع الصحيح سنن الترمذى لمحمد بن عيسى الترمذى، كتاب صفة القيامة والرقائق ٦٣٣/٤ حديث رقم ٢٤٥٠ من حديث أبى هريرة ، وقال:هذا حديث غريب ، ت: أحمد محمد شاكر ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت– وصححه الألبانى.

(٣) انظر: روح المعانى ٢٩/٣٠ تفسير أبى السعود ٩٩/٩ ، البحر المحيط ٤١٤/٨ ، التحرير والتنوير ٧٧/٣٠.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٧٨/٣٠.

(٥) انظر: اللباب ١٣٨/٢٠.

يسعى"؟

" عطف "ثم أدبر يسعى" بـ "ثم" للدلالة على التراخى الرتبى كما هو شأنها في عطف الجمل ، فأفادت "ثم" أن مضمون الجملة المعطوفة بها أعلى رتبة في الغرض الذى تضمنته الجملة قبلها ، أى: إنه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشد وهو الإدبار ، والسعى ، وإدعاء الألوهية لنفسه ، أى: بعد أن فكر ملياً لم يقتنع بالتكذيب والعصيان فخشى أنه إن سكت ربما تروج دعوة موسى بين الناس فأراد الحيطة لدفعها وتحذير الناس منها" (١)

← اللطيفة السادسة:- ما الحكمة في ورود الفعل "أخذه" في قوله: "فأخذه الله" بصيغة الماضى مع أن عذاب الآخرة لم يقع بعد؟ " مراعاة أنه لما مات ابتدأ يذوق العذاب حين يرى منزلته التى سيؤول إليها يوم الجزاء" (٢).

← اللطيفة السابعة:- ما الحكمة من تقديم الآخرة على الأولى في قوله:- {فأخذه الله نكال الآخرة والأولى}؟

" قدّم الآخرة على الأولى في الذكر لأن أمر الآخرة أعظم" (٣).

المطلب الثامن :المعنى الإجمالى للآيات

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن موقف المشركين من البعث وإنكارهم للبعث ، وعدم إيمانهم بالنبى – صلى الله عليه وسلم – كان ذلك يشق عليه، فأراد الله – عزوجل – أن يخفف عنه وطأة هذا الصدود والإعراض والاستهزاء فذكر قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون تسلية له عما يلاقيه من صدود قومه ، وتحذيراً لكفار مكة المتمردين أن يصيبهم عقاب مماثل كما حدث لفرعون إن استمروا في كفرهم، وعنادهم، وإعراضهم عن قبول دعوة الإسلام.

(١) انظر: التحرير والتنوير ٧٩/٣٠.
(٢) انظر: المصدر السابق ٨٢/٣٠.
(٣) انظر: المصدر السابق ٨٣/٣٠.

وأخذت الآيات تحدثنا عن قصة موسى – عليه السلام – وفيها عبرة لمن اعتبر، وعظة لمن اتعظ ، فقد أرسله الله – عز وجل – إلى فرعون وأيده بالمعجزات ، فلقد كان فرعون تجاوز الحد في العصيان والكفر وادعى الربوبية وأبى قبول دعوة موسى – عليه السلام – إلى تطهير نفسه من الذنوب ولم يقبل ما أرشده إليه من طاعة ربه على الرغم من أن الله – عزوجل – أمر موسى – عليه السلام – أن يخاطبه بأسلوب العرض، ولين القول ليكون أنجع في الدعوة ، لأن دعوة الجبابرة تتطلب التلطف، والرفق، والمداراة لتخفيف كبرهم واستنزال شئ من عتوهم ، وقد تكرر الأمر باللين في هذه القصة في القرآن الكريم ، كما ورد في قوله تعالى:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ولكنه مع كل هذا تمرد وعصى فأخذه الله بالعقاب في الآخرة والأولى، وأهلكه في الدنيا مع جنوده وأتباعه بالغرق وفى الآخرة بدخول جهنم ، وفى ذلك عظة، وعبرة لمن اعتبر، وفكر، وتدبر بما حدث لفرعون وللأمم الماضية الذين تمردوا على أنبيائهم، ورسلهم ، وكأن الله – عزوجل – يبعث برسالة تحذير وإنذار لمشركى مكة ولكل من يأتى بعدهم من العصاة أنه مهما عظم حالكم وقوى سلطانكم فلن تبلغوا مبلغ فرعون الذى جعله الله لمن خلْفه آية ، فأخذكم أهون وأيسر على الله منه فمن اتعظ واعتبر بما حدث لفرعون ولأمثاله هم الذين خافوا الله واستقرت خشيته في قلوبهم.

المطلب التاسع :ما ترشد إليه الآيات

١– مكانة النبى – صلى الله عليه وسلم – عند ربه حيث تسليته والتسرية عنه ، وذلك بتقديم درس من دروس قصة سيدنا موسى – عليه السلام.

٢– إثبات مناجاة موسى لربه تعالى.

٣– وجود عامل مشترك كبير بين الأمم في التكذيب ، والإعراض ، والصدود، فكما حدث لنبينا صلى الله عليه وسلم حدث للأنبياء والمرسلين من قبله.

٤– وجود عامل مشترك كبير بين الأنبياء، والرسل ، حيث الصبر والتحمل

في سبيل تبليغ دعوة ربهم.

٥- بيان ما يجب أن يكون عليه الداعية من لين في القول، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- تأييد الله لأنبيائه ورسله بالمعجزات والدلائل الباهرة وأنها سمات صدق على دعواهم.

٧- هلاك فرعون وجنوده عظة لمن اتعظ، ولمن يخشى ويخاف الله في كل زمان ومكان.

٨- وجود وظهور المعجزات على يد الأنبياء والرسل لا يستلزم الإيمان بهم فقد رأى فرعون أعظم الآيات وما آمن.

٩- دلت الآيات على أن الخشية لا تكون إلا بعد معرفة الله تعالى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أى: العلماء به.

١٠- دلت الآيات على أن الخشية ملاك الخير ، لأن من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن إجترأ على كل شر.

١١- بيان إثبات عقاب الله، وأسباب مسوغاته.

١٢- أن الله – عز وجل – ينصر أنبياءه، ورسله، وأتباعه.

المبحث الرابع
إقامة الأدلة على إثبات البعث
وبيان بعض قدرة الله عز وجل ونعمه على خلقه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن موقف المشركين من البعث وإنكارهم له وبعد تسرية وتسلية النبى – صلى الله عليه وسلم – وذلك بإيراد قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون وأن ما يلاقيه النبى صلى الله عليه وسلم لاقاه الأنبياء والمرسلين من قبله، شرع سبحانه وتعالى في خطأ منكرى البعث مرة أخرى واسترعاء انتباههم إلى أمر يُعلم بالمشاهدة وذلك ببيان بعض قدرة الله – عزوجل – الخلاّقة على خلقه لإقامة البراهين على إثبات ووقوع البعث ، ولا شك أن من قدر على خلق السماوات والأرض والجبال لقادر على خلق الإنسان وإعادته مرة ثانية يوم القيامة فإن هذا أيسر وأهون إذا ما أضيف إلى خلق تلك الأجرام العظيمة.

← وعن الربط بين هذه الآيات وما سبقها يقول الإمام أبو السعود– رحمه الله–:–

" قوله:﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بيّن كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله – تعالى – بقوله تعالى:﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [2] " [3]

---

(1) النازعات: ٢٧-٣٣.
(2) النازعات: ١٣.
(3) انظر: تفسير أبى السعود ١٠١/٩.

المطلب الثانى:المفردات اللغوية

← قوله تعالى:﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾

← قوله: [السماء] " سَمَا يَسْمُو سُمُوّا: ارتفع وعلا ، والسماء المظلة للأرض، تذكر وتؤنث ، وقال الفراء: التذكير قليل ، وهو على معنى السقف ، والسماء: المطر ، مؤنثة لأنها في معنى السحابة ، وجمعها سُمِيٌّ على فَعول والسماء:السقف، مذكر، وكل عال مظل سماء حتى يقال لظهر الفرس سماء. والسماء: أعلى كل شئ ، وكل سماء بالإضافة إلى مادونها فسماء ، وبالإضافة إلى مافوقها فأرض ، إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض ، وسمى المطر سماء لخروجه منها ، وسمى النبات سماء ، إما لكونه من المطر الذى هو سماء ، وإما لارتفاعه من الأرض والسماء المقابلة للأرض مؤنث ، وقد يذكر ، ويستعمل للواحد والجمع ، كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ [1] ، وقد يقال: في جمعها: سماوات ، ومنه قوله تعالى:﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[2] ، وقال:﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ ﴾ [3] ، وقال:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾[4] فأنت ، ووجه ذلك: أنه كالنخل والشجر وما يجرى مجراهما من أسماء الأجناس التى تذكر وتؤنث ويخبر عنه بلفظ الواحد والجمع.

← وقد ورد السماء في القرآن على وجوه:-

= الأول:- بمعنى: سقف البيت: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[5] إلى السقف.

= الثانى:- بمعنى السحاب:﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا ﴾[6] أى من السحاب.

---

(1) البقرة: ٢٩.
(2) الرعد: ١٦.
(3) المزمل: ١٨.
(4) الانشقاق: ١.
(5) الحج: ١٥.
(6) الفرقان: ٤٨.

= الثالث:- بمعنى المطر:﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1] أى: المطر.

= الرابع:- بمعنى سماء الجنة وأرضها: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[2]

= الخامس:- بمعنى سماء جهنم:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[3]

= السادس:- بمعنى المقابل للأرض﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾[4] ونظائرها كثيرة"[5] عن مقرها ، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[6] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[7] ، وتارة في البناء إذا طولته ، نحو نحو قوله:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[8] ، وتارة في الذكر إذا نوهته ، ، نحو قوله:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[9] وتارة في المنزلة إذا شرفتها ، نحو قوله:﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[10] ، وقوله:﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[11] وأمثلته كثيرة في القرآن" [12].

← قوله: [سمكها] " السَمْك: بفتح السين وسكون الميم: الرّفع في الفضاء ، سواء اتصل المرفوع بالأرض أو لم يتصل بها وهو مصدر سَمَكَ ، وقيل السماوات: المسموكات ، والسامك: العالى المرتفع ، والسِّماك: ما سَمَكْت

(1) نوح: ١١.
(2) هود: ١٠٨.
(3) هود: ١٠٦ ، ١٠٧.
(4) ق: ٦.
(5) انظر : مفردات غريب القرآن ٢٤٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ٩١٦/١ ، تاج العروس ٨٤٣٧/١ ، المصباح المنير ٣٣٤/٤.
(6) البقرة: ٦٣.
(7) الرعد: ٢.
(8) البقرة: ١٢٧.
(9) الشرح: ٤.
(10) الزخرف: ٣٢.
(11) يوسف: ٧٦.
(12) انظر: مفردات غريب القرآن ٢٠٠/١.

حائطاً ، أو سقفاً " [1].

← قوله: [فسواها] " يقال: سوّى الشئ يسويه تسوية: إذا عدله ، وجعله لا عوج فيه ، والتسوية: التعديل وعدم التفاوت ، وهى جعل الأشياء سواء، أى: متماثلة ، وأصلها: أن تتعلق بأشياء ، وقد تتعلق باسم شئ واحد على معنى تعديل جهاته ونواحيه ، ومنه قوله هنا "فسواها" أى: عدّل أجزاءها وذلك بأن أتقن صنعها فلا ترى فيه تفاوتاً" [2].

← قوله تعالى:﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾

← قوله: [وأغطش] " أصله: من الغَطَش ، وهو شبه العَمَش في العين ، يقال: غَطِش غَطَشَا واغْطَاش ، والغُطاش: ظلمة الليل واختلاطه ، ليل أغْطش وقد أُغْطش الليل بنفسه وأغْطشه الله ، أى: أظلمه ، وغَطش الليل فهو غاطِش أى: مظلم" [3]

← قوله: ﴿ ضُحَىٰهَا ﴾ "مادة [ضحا] الضَّحْوُ والضَّحْوَةُ والضَّحيَّةُ على مثال العشية: ارتفاع النهار ، والضَّحاءُ ممدود ، إذا امتد النهار ، والضُّحى: حين تطلع الشمس فَيَصْفو ضوءها ، والضّحاءُ: بالفتح والمد: إذا ارتفع النهار واشْتد وقْع الشمس ، وهو مذكر كأنه اسم للوقت ، والصَّحْوةُ: مثله ، والجمع: ضُحىً مثل: قرية وقُرىً، وارتفعت الضحى ، أى: ارتفعت الشمس" [4].

← قوله تعالى:- ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾

" الدَّحْوُ: البسْط ، دَحَا الأرض يَدْحُوها دَحْوا: بسطها فهو من ذوات الواو والياء فيكتب بالألف والياء ، ومنه قيل لعُشِّ النَّعامة: أُدْحُوٌّ وأُدْحِيّ ، لانبساطه في الأرض ، والدّحْو: إزالة الشئ عن مكانه ومقَره ، وهو من

(1) انظر: التحرير والتنوير ٨٤/٣٠ ، بصائر ذوى التمييز ٩١٥/١٠ ، مفردات غريب القرآن ٢٤٣/١ ، لسان العرب ٢٤٣/١٠ ، تاج العروس ٦٧٢٢/١.

(2) انظر: بصائر ذوى التمييز ١١٦٨/١ لسان العرب ٣٢٤/١ ، التحرير والتنوير ٨٥/٣٠.

(3) انظر: التحرير والتنوير ٨٥/٣٠ ، معجم ألفاظ القرآن الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، صـ٦١٣ ، ط : الهيئة المصرية للكتاب صـ١٩٧٣م.

(4) انظر: لسان العرب ٤٧٤/١٤ المصباح المنير ٥ / ٣١٨.

قولهم: دحَا المطرُ الحَصَى عن وجه الأرض ، أى: جَرَفها" [1]

← قوله تعالى:-﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾

" المرعى: مَفْعل من رَعَى يرعَى ، والرعى: حقيقته: تناول الماشية الكلأ والحشيش، والرِّعْى: بالكسر: الكلأ ، والجمع أرْعاء ، والرَّعْى: المصدر ، وهو في الأصل: حفظ الحيوان ، إما بغذائه الحافظ لحياته ، وإما بذب العدو عنه ، يقال: رعيته أى: حفظته وأرعيته: جعلت له ما يرعى ، والرعى: ما يرعاه ، والمرعى: موضع الرعى" [2].

← قوله تعالى:﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾

" رَسَا الشئُ يَرْسُو رُسُوّاً وأرسى: ثبت ، وأَرْساه هوورَسَا الجبل يَرْسُو: إذا ثبت أصله في الأرض ، وجبال راسيات ، والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ ، ورست السفينة ترْسُو رُسُواً: بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تسير" [3].

← قوله تعالى:-﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

" المتاع: لغة: كل ما يُنتفع به ، وأصله: ما يتبلغ به من الزاد ، والمتاع من أمتعة البيت: ما يَسْتَمْتِع به الإنسان في حوائجه ، والمتاع: السَّلْعة ، والمتاع: أيضاً المنفعة ، والمتاع: كل ما يُنتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها ، ولكن لمدة ، ففيه معنى التأجيل " [4]

← قولك: ﴿ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ " النَّعَم: مختص بالإبل ، وجمعه: أنعام ، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة ، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في حملتها الإبل

(1) انظر: مفردات غريب القرآن ١٦٥/١ ، بصائر ذوى التمييز ٧٥٦/١ ، لسان العرب ٢٥١/١٤ ٥٧٥٥/١.

(2) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٢/٩ ، التحرير والتنوير ٨٧/٣٠ ، مفردات غريب القرآن ١٩٨/١.

(3) انظر : لسان العرب ٣٢١/١٤ ، مفردات غريب القرآن ٩٦/١.

(4) انظر: التحرير والتنوير ٨٨/٣٠ ، لسان العرب ٣٢٨/٨ بصائر ذوى التمييز ١٣٩٨/١.

، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[1] ، وقوله:﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾[2] ، وقوله:﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾[3] فالأنعام ههنا عام في الإبل وغيرها ، والعرب إذا أفردت النَّعَم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوه: الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم" [4].

المطلب الثالث :الإعراب

← قوله تعالى:﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾

← قوله: ﴿ ءَأَنتُمْ ﴾" الإستفهام توبيخى تقريرى والمقصود من التقرير: إلجاؤهم إلى الإقرار بأن خلق السماء أعظم من خلقهم" [5]

← قوله: ﴿ خَلْقًا ﴾ "مصدر منصوب على التمييز" [6]

← قوله: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ "عطف على "ءأنتم" ، وهو مبتدأ والخبر محذوف ، أى: أم السماء أشد " [7]

← قوله: ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ " يجوز أن تكون مستأنفة إستئنافاً بيانياً لبيان شدة خلق السماء ، ويجوز أن تكون بدل اشتمال في قوله: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ لأنه في تقدير: أم السماء أشتد خلقاً ، وقيل: حال من المحذوف" [8].

← قوله تعالى:﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾[9]

"جملة مفسرة ومبينة لكيفية البناء ، أو بدل اشتمال منها" [10]

---

(1) الزخرف: ١٢.
(2) الأنعام: ١٤٢.
(3) يونس: ٢٤.
(4) انظر: مفردات غريب القرآن ٤٩٩/١٠ ، لسان العرب ٥٧٩/١٢ ، تاج العروس ٧٩١٢/١.
(5) انظر: روح المعانى ٣١/٣٠ ، التحرير والتنوير ٨٣/٣٠.
(6) انظر: المصادر السابقة.
(7) انظر: الدر المصون ٥٧٥٤/١ ، اللباب ١٤١/٢٠ ، التحرير والتنوير ٨٣/٣٠، التبيان التبيان في إعراب القرآن ١٢٧٠/٢.
(8) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبى البقاء محب الدين عبد الله الحسين بن أبى البقاء البقاء العكبرى ٢٨٠/٢.
(9) انظر: التحرير والتنوير ٨٣/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٥/١.
(10) انظر: روح المعانى ٣١/٣٠ ، التحرير والتنوير ٨٤/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٥/١.

← قوله تعالى:-﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾

" الجملة معطوفة على جملة "بناها" وليست معطوفة على "رفع سمكها" لأن إغطاش وإخراج الضحى ليس مما يبين به البناء" [1]

← قوله تعالى:-﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾

← قوله: {والأرض} " فيه وجهان:-

= الأول:- النصب ، وهو منصوب بأحد وجهين:-

- أحدهما:- إما بمضمر يفسره "دحاها" ، أى: دحا الأرض.
- الثانى:- وإما على تقدير فعل: تذكر أو تدبر ، أو اذكر.

= الثانى:- الرفع ، على الابتداء ، وخبرها قوله: "دحاها" " [2]

" والعامة: على نصب "الأرض" و"الجبال" في قوله:﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ أى: أرسى الجبال على إضمار فعل مفسر بما بعده ، وهو المختار لتقدم جملة فعلية ، فلأجل الاهتمام بدلالة خلق الأرض وما تحتوى عليه قدم اسم الأرض على فعله وفاعله ، فانتصب على طريقة الإشتغال[3] ، والإشتغال يتضمن تأكيداً بإعتبار الفعل المقرر العامل في المشتغل عنه الدال عله الفعل الظاهر المشتغل بضمير الإسم المقدم" [4].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير ٨٥/٣٠.

(2) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٢/٩ ، التحرير والتنوير ٨٦/٣٠ الدر المصون ٥٧٥٥/١. ٥٧٥٥/١.

(3) [الاشتغال] هو أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببه سببه وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق فمثال المشتغل بالضمير زيداً ضربته ، وزيدا مررت به ، ومثال المشتغل بالسببى: زيد اضربت غلامه = انظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، لعبدالله بن عبدالرحمن العقيلى المصرى ١٢٩/٢ ت: محمد محى الدين عبد الحميد، ط : دار التراث – القاهرة ـ العشرون ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ١٣٠/٣ ت:عبدالحميد هنداوى ، ط :المكتبة التوفيقية – القاهرة.

(4) انظر: الدر المصون ٥٧٥٥/١ ، التحرير والتنوير ٨٦/٣٠.

← قوله تعالى:- ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾

" قوله: "أخرج" فيه وجهان:-

= أحدهما:- أن يكون تفسيراً

= والثانى:- أن يكون حالاً.

← قال الإمام الزمخشرى – رحمه الله – فإن قلت: فهل أدخل حرف العطف على " أخرج" قلت: فيه وجهان:-

= أحدهما:- أن يكون "دحاها" بمعنى: بسطها ومهّدها للسكنى ، ثم فسر التمهيد بما لا بُد منه في تَأَتّى سُكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها.

= والثانى:- أن يكون "أخرج" حالاً بإضمار "قد" أى: مخرجاً ، كقوله تعالى "أو جاءوكم حصرت صدورهم[1] " [2].

← قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾

"يجوز في قوله: "والجبال" النصب والرفع ، على ما سبق ذكره في قوله:﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾

← قوله تعالى:-﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

قوله: "متاعاً" في نصبه ثلاثة أوجه:

= الأول:- أنه مفعول له ، أى: فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم ، لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى أنعامهم.

= الثانى:- أنه منصوب على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر ، أى: متعكم بذلك متاعاً.

= الثالث: أنه منصوب على أنه مصدر من غير لفظه ، فإن قوله تعالى:﴿

---

(1) النساء: ٩٠.

(2) انظر : الكشاف ٦٩٧/٤ ، الدر المصون ٥٧٥٦/١ التحرير والتنوير ٨٧/٣٠.

أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾في معنى: متع بذلك" [1].

المطلب الرابع: البلاغة

تضمنت الآيات بعض أنواع البلاغة منها:-

←أولاً:- الطباق[2] في ذكر السماء والأرض.

←ثانياً:- الإستعارة التصريحية[3] في قوله تعالى:﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ حيث شبّه أكل الناس برعى الأنعام واستعير الرعى للإنسان بجامع أكل الإنسان والحيوانات من النباتات ، فإطلاع المرعى في حق الآدميين استعارة[4].

←ثالثاً:- وجود السجع المرصع[5] وهو توافق الفواصل في الحرف الأخير كما في قوله: "ضحها ، ودحاها ، ومرعاها ، وأرساها".

المطلب الخامس:القراءات

← قوله تعالى:﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾

(1) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٣/٩ ، روح المعانى ٣٥/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٦/١.

(2) [الطباق] هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل كالبياض والسواد ، والليل والنهار، وهو قسمان: لفظى ومعنوى كقوله تعالى:{فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً} طابق بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير" انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٤٥٥/٣، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، الإنصاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينى، صـ٣١٧.

(3) الاستعارة: قسمان: ١- تصريحية: وهى التى يصرح فيها بذات اللفظ المستعار ، الذى هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيهاً قبل أن تحذف أركانه باستثناء المشتبة أو بعض صفاته أو خصائصه أو بعض لوازمه الذهنية القريبة أو البعيدة .

٢- مكنية: وهى التى لم يصرح فيها باللفظ المستعار وإنما ذكر فيها شئ من صفاته أو لوازمه كناية به عن اللفظ المستعار= انظر:البلاغة الواضحة، لعلى الجارم، ومصطفى أمين، صـ٣٤٦.

(4) انظر: روح المعانى ٣٤/٣٠ ، الكشاف ٦٩٧/٤ ، اللباب ١٤٥/٢٠.

(5) [السجع] وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الأخر وهو ثلاثة أضرب:- ١- سجع مطرف وهو أن تتفق الكلمتان في حرف السجع لا في الوزن كالرميم والأمر.

٢- سجع متوازى وهو أن يراعى في الكلمتين الوزن وحرف السجع كالمحيا والمجرى.

٣- سجع ترصيع وهو ما كان في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية = انظر :الإيضاح، صـ٣٦٢ ، التعريفات، لعلى بن محمد بن على الجرجانى، صـ١٥٦ ت: إبراهيم الإبيارى، ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الأولى ١٤٠٥هـ.

{قرأ "ءأنتم" بتسهيل الثانية مع الفصل بلا ألف ، قالون[1]، وأبو عمرو[2] ، وأبو جعفر[3]، وهشام في أحد أوجهه ، وبلا فصل: ورش ، وابن كثير ورويس" [4].

← قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ "قال الكسائى ، والفراء ، والزجاج: الكلام تم عند قوله: "أم السماء" ، ثم قوله تعالى:﴿ بَنَىٰهَا ﴾ قال: لأنه من صلة السماء ، والتقدير: أم السماء التى بناها ، فحذف "التى" ، ومثل هذا الحذف جائز ، قال القفال[5]: يقال: الرجل جاءك عاقل ، أى: الرجل الذى جاءت عاقل" [6].

[6].

المطلب السادس:البيان والتفسير

← قوله تعالى:- ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾

" خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله – تعالى –

(1) [قالون] هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد الملقب بقالون ، قارئ المدينة يقال: إنه ربيب نافع ، وقد اختص به كثيراً وهو الذى سماه قالون لجودة قراءته ، فإن قالون بلغة الروم جيد ، وكان يكنى أبا موسى ، وتوفى بالمدينة سنة عشرين ومائتين = انظر: البدور الزاهرة ، صـ٥ ، غاية النهاية، صـ٢٧٤.

(2) [أبوعمرو] هو أبوعمرو زبّان بن العلاء البصرى الإمام المقرئ ، ولد سنة ٦٨هـ وأخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة ولد بمكة وشأ بالبصرة توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ = انظر: غاية النهاية، صـ٢٨٨ ، معرفة القراء الكبار، صـ١٠٠.

(3) [هشام] هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة ، أبو الوليد السلمى ، شيخ أهل دمشق، ومفتيهم ، وخطيبهم ، ومقرئهم ، ومحدثهم ، ولد سنة ثلاث وخمسين ومئة ، وثقة يحيى بن معين، وقال النسائى: لا يأس به ، توفى بدمشق سنة خمس وأربعين ومائتين = انظر البدور الزاهرة، صـ٦ ، معرفة القراء الكبار، صـ١٩٥.

(4) انظر: إتحاف فضلاء البشر، صـ٥٧١.

(5) [القفال] هو أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل بن الشاشى الشافعى القفال الكبير ، إمام وقته بما وراء النهى قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهى بالأصول والترحم رحلة في طلب الحديث وعلم اللغة والأصول توفى سنة ست وثلاثين = انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٦ ، الأعلام ٢٧٤/٦.

(6) انظر: مفاتيح الغيب ٤٨/١٦.

فنبههم على أمر يُعلم بالمشاهدة ، وذلك لأن خِلْقَةَ الإنسان على صغره وضعفه ، إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير ، فبيّن تعالى أن خَلْق السماء أعظم، وإذا كان كذلك فخلقهم على وجه الإعادة أولى أن يكون فى مقدوراً الله – تعالى – فكيف ينكرون ذلك؟

والشدة هنا بمعنى الصعوبة ، أى: أخلقكم بعد موتكم أشق وأصعب في تقديركم وزعمكم وإلا فكلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحدة أم خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول في ملاحظة أدناها ، ونظيره قوله:﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] وقوله:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] " [3]

← قوله تعالى:-﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾

" أى: أعلى سقفها من الأرض وجعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهب بها إلى سمت العلو مداً رفيعاً، ثم عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور ولا شئ فيها أعلى من شئ ولا أخفض وأصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم ، وجعل مقدار تُخْن كل سماء وما بين كل سماءين وتخن كل أرض ، وما بين كل أرضين على السواء لا يزيد شئ من ذلك على الآخر أصلاً " [4].

← قوله تعالى:-﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾

" ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمى من عدم ، أتبعه ما يتصور به البعث في كل يوم وليلة مرتين فقال: "وأغطش" أى: أظلم إظلاماً لا يهتدى معه إلى ما كان في حال الضياء

---

(1) يس :٨١ .
(2) غافر:٥٧ .
(3) انظر: تفسير أبى السعود ٤٥٢/٦ ، مفاتيح الغيب ٤٧/١٦ ، ٤٨ ، روح البيان٧٤٠/١٦.
(4) انظر : البحر المديد ٣٥٥/٨ ، نظم الدرر ٣١٨/٨.

وذلك بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه" [١].

← قوله تعالى:-﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾

" أى: بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها ، وكانت حين خُلقت كورة غير مدحوة " [٢]

دفع ما يوهم ظاهره التعارض في هذا المقام

اختلف العلماء في شأن التقدم والتأخر في خلق كل من السماء والأرض وقد انقسموا إزاء هذه القضية إلى أقوال ثلاثة:-

← القول الأول:- ذهب أصحابه إلى أن خلق الأرض كان قبل السماء ، واستدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[٣] ، كما استدلوا بقوله تعالى في سورة فصلت:﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾[٤].

وقد جمع أصحاب هذا القول بين آيتى سورة البقرة ، وفصلت ، وبين آية سورة النازعات في قوله تعالى﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾[٥] والتى يفيد ظاهرها بأن السماء خلقت أولاً والأرض ثانياً ، بأمور ثلاثة:-

---

(١) انظر: نظم الدرر ٣١٨/٨.
(٢) انظر: تفسير أبى السعود ٤٥٢/٦ ، البحر المديد ٣٥٥/٨.
(٣)البقرة : ٢٩.
(٤)فصلت : ٩-١١.
(٥)النازعات : ٢٧-٣٠.

= أحدهما:- قالوا إن معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ أي :(مع ذلك)، فيكون المعنى: أى: والأرض مع ذلك [بعد] دَحَىٰهَآ ، كما في قوله تعالى: ﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ أى: مع ذلك زنيم ، وكما يقال الرجل: أنت أحمق، وأنت بعد هذا لئيم الحسب بمعنى: مع هذا.

ودليل هذا التأويل ما روى عن مجاهد أنه قرأ:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾.

= ثانيها:- قالوا إن كلمة [بعد] في قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ بمعنى: قبل كما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ ﴾[1] أى: من قبل الذكر.

= ثالثها:- استشهدوا بما – روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن اليهود أتت النبى – صلى الله عليه وسلم – فسألته عن خلق السموات والأرض ، قال:-

" خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة ، ثم قال: "أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين" وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل ، قال: وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة..... إلخ الحديث" [2]

ففى هذه الحديث دلالة على أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ، بدليل لفظ [ثم] في آية البقرة التى هى للترتيب والإنفصال ، وهذا القول منسوب إلى

([1])الأنبياء : ١٠٥.

([2]) الحديث رواه الإمام الحاكم في المستدرك ، كتاب : التفسير، باب : ذكر آدم عليه السلام ٥٩٢/٢ حديث رقم ٣٩٩٧ ، وعلق عليه الإمام الذهبى بقوله: في سنده أبو سعيد البقال ، قال ابن معين لا يكتب حديثه.

مجاهد ، والحسن ، وابن عباس – رضى الله عليهم" [1].

← القول الثانى:- ذهب أصحابه إلى أن خلق السموات مقدم على خلق الأرض واستدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى في سورة النازعات﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ فقوله: ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أظهر في إفادة التأخر.

وقد جمع أصحاب هذا القول بين آية النازعات وآيتى البقرة وفصلت بأمور ثلاثة:- أحدها:- قالوا إن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغوى الذى هو التقدير لا الخلق بالفعل الذى هو الإبراز من العدم إلى الوجود ، والعرب تسمى التقدير خلقاً ، والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير ، أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصل حيث قال: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ثم قال: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾.

= ثانيها:- جمع أصحاب هذا القول بين آية النازعات وآيات فصلت بقولهم:-

إن الخلق في قوله:﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ بمعنى إرادة الخلق ، ويقدرون الإرادة والمعنى: أراد خلق الأرض ، وكذا:﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ينبغى أن يكون بمعنى: أراد أن يجعل ، ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ فإن الظاهر أن المراد: ائتيا في الوجود ، ولو كانت الأرض موجودة سابقة لما صح هذا ، فكأنه سبحانه قال: أئنكم لتكفرون بالذى أراد إيجاد الأرض وما فيها من الرواسى والأقوات في أربعة أيام ، ثم قصر إلى السماء فتعلقت إرادته ، بإيجاد السماء والأرض ، فأطاعا بأمر التكوين ، فأوجد سبع سموات في يومين ، وأوجد الأرض وما فيها في أربعة أيام ، وذلك على حد قوله تعالى:-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟

(1) انظر: جامع البيان ٢٠٨/٢٤ ، ٩٠٩ ، فتح القدير ٥٣٣/٥ ، الكشف والبيان لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى ١٢٨/١٠.

وُجُوهَكُمْ ﴾[1] أى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى:-﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[2] أى: إذا أردت قراءة القرآن.

= ثالثها:- كما قالوا أيضاً:- إن [ثم] في قوله تعالى:-﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ في سورتى البقرة وفصلت ، للتفاوت في الرتبة المنزلة منزلة التراخى الزمانى، فثم للتراخى الربى لا للتراخى الزمانى ، كما قوله تعالى:-﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3] فإن اسم كان ضمير ضمير يرجع إلى فاعل "فلا اقتحم" وهو الإنسان الكافر ، وقوله سبحانه:﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[4] تفسير للعقبة ، والترتيب الظاهرى يوجد تقديم الإيمان عليه ، لكن [ثم] هنا للتراخى في الرتبة مجازاً ، وهذا القول منسوب إلى قتادة ، والسدى ، ومقاتل[5].

← القول الثالث:- ذهب أصحابه إلى الجمع بين آية النازعات، وآيتى البقرة، وفصلت ، فقالوا:-

إن الله – تعالى – خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعاً في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى والأنهار وغير ذلك ، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء ، وهذا القول منسوب لابن عباس – رضى الله عنها ، ومن هنا استدل أصحاب هذا القول بما رواه الإمام البخارى – رحمه الله – في صحيحه أن رجلاً قال لإبن عباس: إنى أجد في القرآن أشياء تختلف علىّ..... فذكر أربعة أشياء ، ثم قال الرجل:﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ إلى قوله: "دحاها" ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال:﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله: "طائعين" ، فذكر في

(1)المائدة: ٦
(2) النحل: ٩٨.
(3)البلد: ١٧.
(4)البلد: ١٣-١٦
(5) انظر: روح المعانى ٢١٦/١ ، ١٠٧/٢٤ ، ٣٣/٣٠ ، أضواء البيان ١٤/٧ ، ١٥.

هذه خلق الأرض قبل السماء ؟ فقال ابن عباس – رضى الله عنهما:- خلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ، ودحوها: أن أخرج منها الماء ، والمرعى ، وخلق الجبال ، والجمال ، والآكام[1] وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله: "دحاها" ، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شئ في أربعة أيام ، وخلقت السماوات في يومين" [2].

اعتراضات ودفعها

اعترض البعض على أصحاب القول الثالث باعتراضين:-

- **الاعتراض الأول**:- ويتمثل في أمرين:-

← أحدهما:- أن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية ، وإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء كان خلقها أيضاً لا محالة متأخراً عن خلق السماء ، فظاهر هذا الجسم كالسطح المستوى ويستحيل أن يكون هذا الجسم العظيم مخلوقاً ولا يكون ظاهرة مدحواً مبسوطاً

← ثانيهما:- إن قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يفيد: أن خلق ما في الأرض قبل خلق السموات ، ومن المعلوم أن خلق ما فيها إنما هو بعد الدحو فكيف يكون الدحو بعد خلق السموات؟.

← وقد دفع الاعتراض الأول بما نصه:-

لعل مراد القائل بخلقها أولاً ، ثم دحوها ثانياً خلق مادتها أولاً ، ثم تركيبها وإظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسوطة ، وهذا كما قيل في قوله تعالى:- ثم استوى إلى السماء وهى دخان فسواهن سبع سموات ، إن

---

(1) [الآكام] الأكمة: تل من القفّ وهو حجر واحد ، وقيل: هو دون الجبال ، وقيل هو الموضع الذى هو أشرت ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً = انظر: لسان العرب ٢٠/١٢.

(2) انظر: صحيح البخارى ، كتاب : التفسير، باب سورة فصلت ١٨١٤/٤ حديث رقم ٤٥٣٧.

السماء خلقت مادتها أولاً ، ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم.

← ودفع الإعتراض الثانى بأحد أمرين:-

= أولهما:- أن قوله: "ثم" ليس للترتيب الزمنى ، وإنما هو على جهة تعديد النعم ، كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه: ألم أعطك؟ ألم أرفع قدرك؟ ألم أدفع عنك؟ ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض.

= ثانيهما:- أن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً يأتى بمعنى: التقدير ، أو إرادة الخلق ولا يمكن أن يراد من ذلك الإيجار بالفعل ، ضرورة أن جميع المنافع الأرضية يتجدد إيجادها أولاً فأولاً ، ولو سلمنا جدلاً أن المراد الإيجار بالفعل فإنه يجوز أن يكون المراد: خلق مادة ذلك الفعل" [1]

الاعتراض الثانى

يتمثل في أن البعض قد يتوهم بأن هناك تعارضاً بين الحديث الذى أخرجه الإمام الحاكم، والمروى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن اليهود أتت النبى – صلى الله عليه وسلم – وسألته عن خلق السموات والأرض، فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين...إلخ الحديث، وبين ما أخرجه الإمام البخارى– رحمه الله– والمروى عن ابن عباس– رضى الله عنها– أيضاً أنه قال: خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء...إلخ الحديث، فدلالة ما أخرجه الإمام الحاكم تقتضى خلق ما في الأرض من الأشجار، والأنهار، وغيرها قبل خلق السماء، بينما دلالة أخرجه الإمام البخارى تقتضى أن الله – تعالى – دحا الأرض بعد خلق السماء فأخرج من الأرض الماء، والمرعى، والجبال، والجمال...إلخ.

← ولدفع هذا الاعتراض بين الحديثين قال الإمام الألوسى – رحمه الله –:

" الظاهرة حمل ما أخرجه الحاكم من خلقَ ما في الأرض من الأشجار والأنهار...

([1]) انظر: روح المعانى ٣٣/٣٠ ، مفاتيح الغيب ٤٨٠/١٦ ، لباب التأويل في معانى التنزيل، للإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى ، الشهير بالخازن ٤٤/١ ، ط : دار الفكر – بيروت – لبنان ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

إلخ على أنه خلق مادة ذلك وأصوله ، إذ لا يتصور العمران والخراب قبل خلق السماء ، فعطفه عليه قرينة لذلك فلا تعارض بين الحديثين" [١].

← بعد أن بينت فيما سبق أقوال العلماء تجاه التقدم والتأخر في خلق السموات والأرض أرى أن القول الراجح من بين هذه الأقوال هو القول الثالث جمعاً بين الأقوال وخروجاً من هذا الإشكال، وهذا ما رجحه كثير من العلماء أذكر منهم على سبيل المثال:

← شيخ المفسرين الإمام الطبرى – رحمه الله – حيث قال بعد أن استعرض الأقوال التى وردت في هذه المسألة:-

" والقول والذى ذكرناه عن ابن عباس من أن الله – تعالى – خلق الأرض وقدر فيها أقواتها ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها ، وأرسى جبالها، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، لأنه جل ثناؤه قال:﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ والمعروف من معنى [بعد] أنه خلاف معنى [قبل] وليس في دحوِّ الله الأرض بعد تسويته السموات السبع وإغطاشه ليلها ، وإخراجه ضحاها ، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحوّ إنما هو البسط في كلام العرب ، والمد" [٢].

← وعن ترجيح هذا القول جمعاً بين هذه الأقوال قال الإمام أبوحيان–رحمه الله– :-

" والمختار أن جُرْم الأرض خلق قبل السماء ، وخلقت السماء بعدها ، ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء ، وبهذا يحتمل الجمع بين الآيات" [٣]

←كما اعتمد هذا القول الحافظ ابن حجر–رحمه الله–حيث قال بعد عرضه للأقوال المذكورة في هذا الصدد:- عقب على ما ذكره ابن عباس في القول الثالث فقال : "هوالمعتمد" [٤]

← قوله تعالى:-﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾

(١) انظر : روح المعانى ١٠٥/٢٤.
(٢) انظر: جامع البيان ٢٠٩/٢٤.
(٣) انظر: البحر المحيط ٢٨٢/١.
(٤) انظر: فتح البارى ٥٥٨/٨٨.

" توضيح وبيان للدحو المراد من الأرض بأن فجّر منها عيوناً وأجرى أنهاراً وأخرج منها النبات الذى يأكله الناس والأنعام" [١]

← قوله تعالى:-﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾

" أى: أثبتها في الأرض وجعلها كالأوتاد للأرض لتثبت وتستقر وتسكن ، وأن لا تمير بأهلها ، ونظيره قوله تعالى:-﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[٢] " [٣].

← قوله تعالى:-﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

" أى: ما يخرج من الأرض منفعة لكم ولأنعامكم من البقر، والإبل، والغنم" [٤].

(١) انظر: روح المعانى ٣٤/٣٠ ، تفسير الخازن ٢٠٧/٧.
(٢)النبأ: ٧.
(٣) انظر: فتح القدير ٤١٤/٧ ، السراج المنير ٣٥٠/٤.
(٤) انظر: تفسير الخازن ٢٠٧/٧ ، فتح القدير ٤١٤/٧.

المطلب السابع: من لطائف الآيات

تضمنت الآيات بعضاً من اللطائف والدقائق منها:-

← اللطيفةالأولى:- ما الحكمة من تخصيص النهار بوقت الضحى دون غيره؟

الحكمة من ذلك كما قال علماؤنا الأجلاء:- " لأن الضحى أكمل النهار بالنور والضوء ، فوقت الضحى هو أشرف أوقات النهار وأطيبها ، وفيه من انتعاش الأرواح ما ليس في سائرها فكان أوقف لمقام تذكير الحجة على منكرى البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها ، وقيل إنه لذلك كان أحق بالذكر في مقام الإمتنان" (١).

← اللطيفةالثانية:- لماذ عبر عن وقت الضحى وإظهار النور بالإخراج ؟

هذا ما أجاب عليه العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله – حيث قال:-

" وإنما جعل إظهار النور إخراجاً ، لأن النور طارئ بعد الظلمة ، إذ الظلمة عَدَم وهو أسبق ، والنور محتاج إلى السبب الذى ينيره" (٢)

← اللطيفةالثالثة- ما الحكمة من إضافة الليل ، والضحى إلى السماء؟

أجاب الإمام أبو السعود – رحمه الله – على هذا بقوله:-

" وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ، ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس ، أى: أبرز ضوء شمسها ، والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها" (٣)

* كما أدلى الشيخ الطاهر بن عاشور – رحمه الله – بدلوه إزاء تلك اللطيفة فقال:- " وإضافة ليل ، وضحى إلى ضمير السماء ، فإن كان المراد بالسماء هى السماء الدنيا فلأنهما يلوحان للناس في جوّ السماء فيلوح الضحى أشعة منتشرة من السماء صادرة من جهة مطلع الشمس فتقع الأشعة على وجه

(١) انظر: روح المعانى ٣١/٣٠ ، اللباب ١٤١/٢٠.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٨٦/٣٠.
(٣) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٢/٩.

الأرض ، ثم إذا نجحت الشمس بدورة الأرض في اليوم والليلة أخذ الظلام يحل محل ما يتقلص من شعاع الشمس في الأفق إلى أن يصير ليلاً حالكا محيطاً بقسم من الكرة الأرضية ، وإن كان السماء جنساً للسموات ، فإضافة ليل وضحى إلى السماوات لأنهما يلوحان في جهاتها" [1].

وقد ذكر المفسرون في وجه الحكمة من تلك الإضافة أقوالاً كثيرة ولكنها متقاربة المعنى ، فالليل والضحى إذا أضيفا إلى السماء فلأن حدوثهما متوقف على طلوع الشمس وغروبها ، والشمس إنما تكون في السماء.

← اللطيفة الرابعة: ما السر من وراء تقديم خلق السماء وما فيه على الأرض في سورة النازعات على العكس ما ورد في سورة البقرة والدخان؟

في سورة النازعات التى نحن بصدد تفسيرها قدّم الله – عز وجل – خلق السموات وما فيهن على خلق الأرض خلافاً لما ورد في سورتى البقرة[2] وفصلت[3] ، فإن خلق الأرض وما فيها مقدم على خلق السماء.

= ولا أجد أفضل ما سطره الإمام الألوسى – رحمه الله – في هذا الصدد فقال:-" ونكتة تقديم خلق الأرض وما فيها في الظاهر في سورتى البقرة ، والدخان على: خلق السماوات ، والعكس ههنا: أن المقام في الأولين مقام الامتنان ، وتعداد النعم على أهل الكفر والإيمان فمقتضاه تقديم ما هو نعمة بالنظر إلى المخاطبين من الفريقين ، فكأنه قال سبحانه: هو الذى دبّر أمركم قبل السماء ، ثم خلق السماء ، والمقام هنا مقام بيان كمال القدرة ، فمقتضاه

---

(1) انظر: التحرير والتنوير ٨٦/٣٠.

(2) في قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ الآية البقرة ٢٩.

(3) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ الآية فصلت ٩.

تقدير ما هو أدل" [١].

← اللطيفة الخامسة:- لماذا نسب وأضاف الماء والمرعى إلى الأرض؟
" نسب الماء والمرعى إلى الأرض ، لأنهما يخرجان منها" [٢].
← اللطيفة السادسة:- لماذا عبر الله بقوله:- والجبال أرساها ولم يقل:- أرسى الجبال؟
هذا ما سيجيب عليه شيخ المحققين الإمام أبو السعود – رحمه الله – حيث قال:- "أرساها".
أى: أثبتها ، وأثبت بها الأرض أن تميل بأهلها ، وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسلو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها ، بل هو بإرسائه عز وجل ، ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض" [٣].
← اللطيفة السابعة:- ما الحكمة من تقديم إخراج الماء ، والمرعى في الذكر على إرساء الجبال مع تقدم الإرساء عليه؟
للإجابة على هذا السؤال قال العلماء:-
" ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكراً مع تقديم الإرساء عليه وجوداً لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب" [٤].

المطلب الثامن:المعنى الإجمالى للآيات

- عود على بدء –

تعود بنا السورة مرة ثانية لتقدم وتوضح لنا – وخاصة لمنكرى البعث – الأدلة على تأكيد أمر البعث وأنه أمر ميسور بالنسبة لقدرة الله – عزوجل – الخلاقة، فشرع سبحانه مبيناً دليلاً واضحاً لمنكرى البعث ومستبعدى إعادة

(١) انظر: روح المعانى ٣٣/٣٠.
(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٥٢/١.
(٣) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٢/٩.
(٤) انظر: البحر المديد ٢/٧ ، فتح القدير ٥٣٤/٥.

الله للأجسام قائلاً لهم: أخلقكم بعد الموت للحساب أعظم وأشق أم خلق السماء الهائلة البديعة الصنع ، فالله خالق لهذه السماء وهى أكبر من خلقكم، إذن

فهو قادر على خلقكم وإعادتكم كرة أخرى يوم القيامة.

فالذى خلق السموات العظام وما فيهن والأرض وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم لابد وأن يكون قادر على خلق الناس مرة أخرى فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه.

ثم شرع سبحانه في تقديم جملة من الحجج والبراهين يخاطب الله فيها عقول المنكرين الذين يكذبون بيوم القيامة ليبين لنا كيفية إيجاد وخلق السماء على تلك الهيئة البديعة بدون عمد ، فجعل مقدار ارتفاعها من الأرض رفيعاً، وجعلها مستوية الخلق لا تفاوت فيها ، ولا اعوجاج ، ولا فتور ، ولا شقوق ، ثم أشار سبحانه إلى بعض مظاهر خلق السماء من إظلام ليلها وارتفاع ضحاها ، ثم انتقل الكلام من الاستدلال بخلق السماء إلى الاستدلال بخلق الأرض ، لأن الأرض أقرب ليتمكنوا من العيش عليها ، ثم شرع سبحانه في بيان وتوضيح الدحو فبيّن ما أنعم به على عباده من إخراج الماء ، حيث فجّر العيون، والأنهار، والبحار، والمحيطات ، وإنبات جميع ما يأكله الناس والأنعام ، ثم أتبع ذلك بنعمة أخرى وهى إرساء الجبال في الأرض كالأوتاد لئلا تميد وتضطرب بالخلق.

ولما ذكر سبحانه بعض مظاهر قدرته المنبثة في السماء والأرض ختم كلامه في هذا المقطع بالإشارة إلى كونها نعمة عظمى ينتفع منها الإنسان والحيوان ، إلا أن هذا الانتفاع لا يدوم فعلى الإنسان أن يشكر ربه على تلك النعم التى لا تعد ولا تحصى ، وأن يوقن ويؤمن بهذا اليوم وأن يعمل عملاً صالحاً ينفعه في أخراه وأن يمتثل لأمر ربه وأن ينتهى عما نهاه عنه.

المطلب التاسع: ما ترشد إليه الآيات

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- جواز ضرب الأمثال المحسوسة للتقريب وإفهام الأذهان.

٣- نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى.

٤- بيان فضل الله على الإنسان وإنعامه عليه.

٥- من فضل الله على عباده أنه خلق الليل والنهار ، حيث جعل الليل لباساً والنهار معاشاً.

٦- من فضل الله على عباده أنه مهد لهم الأرض وجعلها صالحة للسكنى والسير عليها والإنتفاع بخيراتها.

٧- من فضل الله على عباده أنه خلق لهم الجبال وأثبت بها الارض لئلا تميد بهم.

٨- نعم الله على عباده لا تقتصر على الإنسان فحسب وإنما تشمل الحيوانات أيضاً.

٩- الراجح بين العلماء أن الله – عزوجل – خلق جُرْم الأرض أولاً ثم خلق جُرْم السماء ، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

١٠- أن الليل والنهار يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها ، لأن الشمس إنما تسير في كبد السماء.

المبحث الخامس

الحديث عن أهوال يوم القيامة وبيان أحوال الناس وجزائهم فيه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن بين الله – عز وجل – من خلال الآيات السابقة تقرير عقيدة البعث والنشور وإقامة الأدلة والبراهين على وقوعه من خلق للسماء والأرض ، وإثبات وقوع البعث والحشر ، شرع سبحانه وتعالى بعد ذلك في الحديث عن وقوع هذا اليوم فعلاً ، وما ينتج عنه من أهوال جسام ، وما يترتب عليه من انقسام الناس في هذا اليوم إلى فريقين: فريق في الجنة ، وفريق في السعير، كل بحسب عمله في الدنيا.

← وعن مناسبة هذه الآيات لما قبلها قال الإمام أبوالسعود–رحمه الله – :–

" شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ ... إلخ ﴾[2]

← كما تحدث الإمام البقاعى–رحمه الله–عن الربط بين الآيات بقوله:–

" لما ذكر ما دل على البعث ، أتبعه ما يكون عن البعث مسبباً عنه ، دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة" [3].

المطلب الثانى: المفردات اللغوية

← قوله تعالى:– ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾

← قوله: [الطامة] "طمّ الوادى طموماً: علا وغلب، وفى مثل: جرى وطمَّ الماء

---

(1) النازعات: من ٣٤-٤١.
(2) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٣/٩.
(3) انظر: نظم الدرر ٣٢٧/٩.

يَطمُ طَمّا وطموما: علا وغمر ، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم يطم وطمَّ الشئ يطُمه طما: غمره ، وجاء السيل فطم كل شئ أى: علاه ، ومن ثم قيل: فوق كل شئ طامة ، ومن هنا سميت القيامة طامة ، والطم: الدفن.

وحوض مطموم وطميم ، وطم البئر: كبسها ، وطم لشعره: حلقه ، ومر الفرس يطم طميماً: يسرع" [1]

قال الإمام الرازى – رحمه الله – :-

" والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع ، وفى اشتقاقها وجوه:-

قال المبرد: أُخذت فيما أحسب من قولهم: طم الفرس طميما ، إذا استفرغ جهده في الجرى ، وطمّ الماء: إذا ملأ النهر كله ، وقال الليث:- الطم طم البئر بالتراب وهو الكبس ، ويقال: طم السيل الركية ، إذا دفنها حتى يسويها، ويقال للشئ الذى يكبر حتى يعلو: قد طم ، والطامة: الحادثة التى تطم على ما سواها ، ومن ثم قيل: فوق كل طامة طامة ، قال القفال: أصل الطم: الدفن والعلو ، وكل ما غلب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمّه ، ومنه الماء الطامى وهو الكثير الزائد ، فالطامة: اسم لكل داهية عظيمة يُنسَى ما قبلها في جنبها" [2]

← قوله تعالى:-﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

← قوله: [سعى] " أصل السعى: التصرف في كل عمل،وعليه قوله تعالى: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" [3] أى: إلا ما عمل ، والسعى: الإسراع فى الأمر حسا أو معنى ، والسعى: المشى السريع وهو دون القدْو ، ويستعمل للجد فى الأمر خيراً كان أو شراً ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ﴾[4] ، وقال:﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[5] ، وقال:﴿

---

(1) انظر: لسان العرب ٣٧٠/١٢ ، مفردات غريب القرآن ٣٠٦/١ ، اللباب ١٤٦/٢٠ أساس البلاغة ، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ١٨٥/١ ، ط : دار صادر – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(2) انظر: مفاتيح الغيب ٥٤/١٦.

(3) النجم: ٣٩.

(4) البقرة : ١١٤.

(5) التحريم : ٨.

فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾[1] وأكثر ما يستعمل السعى فى الأفعال المحمودة" [2].

← قوله تعالى:﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾

← قوله: [برزت] بَرَزَ، أبرز الشئ: أخرجه، وَبَرَّزَه تَبْريزاً: أظهره وبينْه، وأبرز الكتاب وغيره وبرّزه ، "وبرزت الجحيم" كشف الغطاء عنها.

والبروز: هو الظهور البيّن ، وأصله البَراز ، وهو الفضاء ، وبَرَز: حصل فى بَراز ، وذلك اما أن يظهر بذاته ، نحو:﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ ﴾[3] تنبيها أنه يبطل فيها الأبنية وسكانها ، ومنه المبارزة فى القتال ، وهى الظهور من الصف ، أو الظهور لما عنده من فضل الشجاعة ، وهو أن يظهر نفسه فى فعل محمود ، وإما أن ينكشف عنه ما كان مستوراً به ، ومنه قوله تعالى:- ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[4] وقوله:-﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴾[5] تشبيهاً أنهم يعرضون عليها" [6]

← قوله: [الجحيم] " الجحيم: اسم من أسماء النار، وكل نار عظيمة فى مَهْواة، فهى جحيم، والجحيم: النار الشديدة التأجج، فهى تَجْحَمُ جُحوما، أى: توقَّدت وقُداً، وأصله: ما اشتد لهبه من النار، والجاحم: المكان الشديد الحر ، ويقال للنار: جاحم، أى: توقُّد والتهاب ، وجمر جاحم: شديد الاشتعال ، وجَحم النار: أوقدها ، وجَحِمتْ جَحَما وجَحْما وجُحوما: اضْطَرمَتْ.

* وقد ورد الجحيم فى القرآن على وجهين:-

---

(1) الإسراء : ١٩.
(2) انظر: المفردات ٢٣٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ٨٩٣/١ ، المصباح المنير ٢٤٦/٤ ، التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوى، صـ٤٠٥ ت: د/ محمد رضوان الداية ، ط : دار الفكر – دمشق – الأولى ١٤١٠هـ .
(3) الكهف: ٤٧.
(4) إبراهيم: ٤٨.
(5) الشعراء: ٩١.
(6) انظر: بصائر ذوى التمييز ٥١٥/١ ، تاج العروس ٣٦٧١/١ المفردات ٤٣/١ ، أساس البلاغة ٢١/١.

←أحدهما:- بمعنى النار التى أوقدها نمورد اللعين للخليل إبراهيم–عليه السلام – قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾

←الثانى:- بمعنى النار التى أعدها الله للمجرمين والكفار، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[1] " [2]

← قوله تعالى:﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾

← قوله: ﴿ وَءَاثَرَ ﴾ "أَثَر أن يفعل كذا أَثَراً وأَثَر وآثَر كله: فضّل وقدّم وآثرت فلاناً على نفسى من الإيثار آثرتك إيثارا ، أى: فضلتك.

والإيثار: أن يقدم غيره على نفسه فى النفع له والدفع عنه ، وهو النهاية فى الأخوة والإيثار: تفضيل شئ على شئ فى حال لا يتيسر فيها الجمع بين أحوال كل منهما" [3]

← قوله تعالى:-﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

← قوله: [المأوى] " أَوَيْتُ إلى منزلى أُوِيّاً وإِوِيّاً وأَوّيْتُ وتَأَوَّيْتُ كله: عُدْتُ ، والمأوى والمَأواه: المكان ، فالمأوى: كل مكان يأوى إليه شئ ليلاً أو نهاراً ، وأوى إلى منزله يَأْوى من باب ضرب أوِيّا ، والمأوى بفتح الواو لكل حيوان: سكنه ، ومأوى الغنم: مُرَاحها الذى تأوى إليه ليلاً.

وأوى إلى كذا: انضم إليه يأوى أويا ومأوى ، وآواه غيره غيره يؤويه إيواء ، قال عزوجل﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[4] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ ﴾[5] ، ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ [6] ، وقوله تعالى:﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[7] اسم للمكان الذى يأوى إليه" [8].

---

(1) الانفطار: ١٤.
(2) انظر: لسان العرب ٨٤/١٢ ، المفردات ٨٨/١ ، بصائر ذوى التمييز ٥٥/١.
(3) انظر: التعاريف، صـ٥٩ ، لسان العرب ٥/٤ ، التحرير والتنوير ٩١/٣٠.
(4) الكهف: ١٠.
(5) هود: ٤٣.
(6) يوسف: ٦٩.
(7) النساء: ٩٧.
(8) انظر: لسان العرب ٥١/١٤ ، المصباح المنير ١٨١/١ ، المفردات ٣٤/١ ، التحرير والتنوير ٩٣/٣٠.

← قوله تعالى:-﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾

← قوله: [خاف] " الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع: توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن، ويستعمل ذلك فى الأمور الدنيوية والأخروية ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ (١) والخوف من الله لا يراد به ما يخطر البال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصى واختيار الطاعات ، ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن الذنوب تاركاً" والخوف: أجّل منازل السالكين وأنفعها للقلب وهو فرض على كل أحد ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢) ، والخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه ومحارم الله" (٣).

← قوله: [مقام] " أصل المقام: مكان القيام ، والمقام يكون مصدراً بمعنى القيام ، واسم مكان بمعنى موضع القيام ، واسم زمان بمعنى وقت القيامة فى وقت العرض" (٤).

← قوله: [ونهى] " النَّهْيُ: خلاف الأمر، نَهاه يَنْهاه نَهْياً فانتهى وتناهى: كَفِّ، وتناهَوْا عن الأمر وعن المنكر نهى بعضهم بعضاً ، نهَاهُ بَنْهاه نَهْيا: ضد أمره ، فانتهى وتناهى ، والنُهْية بالضم الاسم منه ، والنهى: الزجر عن الشئ، والنهى عن الشئ من حيث المعنى قد يكون بالقول ، وقد يكون بغيره، وما كان بالقول لا فرق بين أن يكون بلفظِة لا تَفْعَلْ، كاجْتنب ، أو بلفظة لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا ، فَنَهْيٌ من حيث اللفظ والمعنى جميعاً ، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾(٥) ، وأما قوله تعالى:

(١) الإسراء: ٥٧.
(٢) آل عمران: ١٧٥.
(٣) انظر: المفردات ١٦٢/١ بصائر ذوى التمييز ٧٤٦/١.
(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز ١٢٨٧/١ ، المفردات ٤١٧/١ ، التحرير والتنوير ٩٣/٣٠.
(٥) الأعراف: ١٩.

تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فلم يُرِدْ أن يقول لنفسه لا تفعل كذا ، بل أراد قَمْعها عن مُشْتهاها ، ودفعها عما نزعت إليه وهمت به ، وكذا النهى عن المنكر يكون تارة باليد ، وتارة باللسان ، وتارة بالقلب" (١)

← قوله: [النفس] " النفس: هى الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماه االحكيم الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه ، وأما فى وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه ، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد، لأن الموت هو الانقطاع الكلى ، والنوم هو الانقطاع الناقص ، فثبت أن القادر الحكيم دبّر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب:-

الأول:- إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة ، وإن انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم ، أو بالكلية فهو الموت.

والنفس: الروح ، يقال: خرجت نفسه ، أى: روحه ، والنفس: أيضاً الدم ، والنفس: الجسد ، والنفس: العين.

* والنفس فى كلام العرب يجرى على ضربين:-

أحدهما:- قولك: خَرَجَتْ نفس فلان ، أى: روحه ، وفى نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أى: فى رُوعه.

والضرب الآخر: معنى النفس فيه معنى جُمْلة الشئ ، وحقيقته: تقول قتل فلان نفسه وأهلك نفسه ، أى: أوْقَتَ الإهْلاك بذاته كلها وحقيقته.

* وروى عن ابن عباس أنه قال: لكل إنسان نفسان:

إحداهما: نفس العقل الذى يكون به التمييز ، والأخرى: نفس الروح الذى به الحياة ، ومن سَوَّى النفس والروح وقال هما شئ واحد إلا أن النفس مؤنثة ، والروح مذكر ، وقيل: الروح: هو الذى به الحياة ، والنفس التى بها العقل ، وسميت النفس نفساً

(١) انظر: لسان العرب ٣٤٣/١٥ ، المفردات ٥٠٧/١ ، بصائر ذوى التمييز ١٥١٨/١.

لتولد النفس منها وإتصاله بها ، كما سموا الروح روحاً، لأن الروح موجود به" [١].

← قوله: [الهوى] " الهوى محبة الإنسان الشئ وغلبته على قلبه ، قَالَ تَعَالَىٰ: تَعَالَىٰ:﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصى الله – عزوجل –

وقيل الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع والهوى: ما تهواه النفس فهو مصدر بمعنى المفعول، مثل الخلق بمعنى المخلوق، فهو ما ترغب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل.

وأصل الهوى: مطلق الميل ، وشاع فى الميل إلى الشهوة ، وسمى بذلك: لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية ، وفى الآخرة إلى الهاوية" [٢]

←قوله:- [الجنة] "الجنة: الحديقة ذات النخل ، والشجر ، والبستان ، والمراد بها: دار النعيم فى الآخرة من الاجْتنان وهو السَّتر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها ، وقيل: سميت بالجنة وهى المسرة الواحدة من مصدر جَنَّة جَنّا إذا ستره ، فكأنها سُتْرة واحدة لشدة التفافها وإظلالها" [٣].

المطلب الثالث:الإعراب

← قوله تعالى:- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾

← قوله: [فإذا] "ألفاء: للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها" [٤]

و [إذا] ظرف لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثراً ومضارعاً دون ذلك ، وأنما دخلت [إذا] الشرطية على الاسم فى نحو قوله تعالى:-﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٥] لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير لا مبتدأ خلافاً للأخفش.

أما [إذا] الفجائية فتختص بالدخول على الجملة الإسمية ، وقد [إذا] الفجائية

(١) انظر: التعريفات، صـ٣١٢ ، بصائر ذوى التمييز ١٤٩٩/١ ، لسان العرب ٢٣٣/٦.
(٢) انظر: لسان العرب ٣٧١/١٥ ، المفردات ٥٤٨ ، بصائر ذوى التمييز ١٦٥٨/١ ، التعريفات، صـ٣٢٠ ، التحرير والتنوير ٩٣/٣٠ روح المعانى ٣٦٣/٣٠.
(٣) انظر: لسان العرب ٩٢/١٣ ، المعجم الوسيط ١٤١/١.
(٤) انظر: روح المعانى ٣٦/٣٠.
(٥) الانشقاق: ١.

والشرطية فى قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[2] [3]

← وفى جواب [إذا] أوجه:-

" = أحدها: قوله:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ نحو: إذا جاءك بنو تميم فأما العاصى فأهنه وأما الطائع فأكرمه.

= وقيل: محذوف ، تقديره:- فإذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك ، والمعنى: فإن الجحيم مأواه.

= وقدره غيره بقولهم: فإذا جاءت الطامة انقسم الراءون إلى قسمين.

= وقيل جوابها: فإذا جاءت الطامة عاينوا أو علموا.

= وقيل جوابها: فإذا جاءت الطامة أدخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الحنة.

= وقيل العامل فيها جوابها ، وهو معنى قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

= وقيل جوابها محذوف ، كأنه قيل: فإذا جاءت الطامة وقع مالا يدخل تحت الوصف والذى تستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحضوف كان من عظائم الشئون ما لم تشاهده العيون" [4]

← قوله تعالى:-﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

فى إعرابه أربعة أقوال:-

= الأول:- بدل كل أو بعض من "إذا جاءت".

= الثانى:- بدل من "الطامة الكبرى" ، فيكون مرفوع المحل ، وفتح لإضافته

(1) الروم: ٢٥.
(2) الروم: ٤٨.
(3) انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصارى، صـ١٢٧ ، ت : د/مازن المبارك ، محمد على حمد الله ، ط : دار الفكر – بيروت – السادسة ١٩٨٥م.
(4) انظر: الكشاف ٦٩٨/٤ ، الدر المصون ٥٧٥٦/١ ، اللباب/٤٠٧ ، تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، روح المعانى ٣٦/٣٠.

إلى الفعل على رأى الكوفيين.

= الثالث:- قيل:- ظرف لجاءت.

= الرابع:- أنه منصوب بإضمار فعل ، أى: أعنى يوم تفسيراً للطامة الكبرى"[1].

← و"ما" فى قوله: "ما سعى" فيها قولان:- = الأول: أنها "موصولة ، وسعى بمعنى عمل، والعائد مقدر ، أى: له ، والمراد: يوم يتذكر كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً فى صحيفته وقد كان نَسِيَه من فرط الغفلة، أو طول الأمد، أو شدة ما لقى ، لقوله تعالى:﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[2].

= الثانى:- يجوز أن تكون "ما" مصدرية ، أى: يتذكر فيه سعيه " [3]

← قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ الجملة فيها ثلاثة أقوال :

" = الأول:- عطف على "جاءت".

= الثانى: عطف على "يتذكر"

= الثالث: وقيل حال من "الإنسان" بتقدير "قد" أو بدونه" [4]

← قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾

← قوله [فأما] "الفاء: رابطة لجواب الشرط في [إذا] لأن جملة "من طغى" إلى آخرها جملة اسمية ليس فيها فعل يتعلق به ، إذا فلم يكن بين [إذا] وبين جوابها ارتباط لفظى ، فلذلك تجلب الفاء لربط الجواب في ظاهر اللفظ ، وأما في المعنى فيعلم أن [إذا] ظرف يتعلق بمعنى الاستقرار الذى بين المبتدأ والخبر.

و[أما] حرف تفصيل وشرط ، لأنها في معنى: مهما يكن شئ.

---

(1) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٣/٩ ، روح المعانى ٣٥/٣٠.
(2) انظر: الكشاف ٦٩٨/٤ ، روح المعانى ٣٥/٣٠.
(3) المجادلة: ٦.
(4) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، روح المعانى ٣٥/٣٠.

← قول: [من طغى] "[من] اسم موصول مبتدأ ، وليست شرطية لأن الشرط لا يدخل على الشرط ، والخبر: فإن الجحيم وما بعده ، لكن في الخبر حذف عائد به يتم الخبر ، تقديره: فإن الجحيم هى المأوى له ، ومثله:- ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ ﴾ [1]

← قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

← قوله [هى] فيها قولان:-

= "الأول: إما ضمير فصل لا محل له من الإعراب.

= الثانى: وإما ضمير منفصل في حالة رفع مبتدأ ، خبره ، قوله: "المأوى"[2] كما تقول للرجل: غض الطرف ، تريد طرفك.

← قوله [المأوى] "أل في كلمة [المأوى]

= " عوض عن المضاف إليه الضمير وبها يحصل الربط والتقدير: مأواه عند الكوفيين وعند البصريين يكون التقدير: هى المأوى له ، وهذا الحذف هنا للعلم بأن الطاغى هو صاحب المأوى ، وحسن حذفه بوقوع المأوى فاصلة ، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة فلما عُلم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الإضافة.

وقال الإمام الرازى – رحمه الله – في هذا الصدد:-

وعندى فيه وجه آخر ، وهو أن يكون التقدير: فإن الجحيم هى المأوى اللائق بمن كان موصوفاً بهذه الصفات والأخلاق" [3].

← قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾

" الجملة معطوفة على "أما" السابقة وما دخلت عليه.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير ٩١/٣٠ ، مشكل إعراب القرآن للخراط صـ٥٨٤ ، مشكل إعراب القرآن ، لمكى بن أبى طالب القيسى ٧٩٩/٢ ت : د/ حاتم صالح الضامن ، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت الثانية ١٤٠٥هـ.

(2) انظر: روح المعانى ٢٣٣٦/٣٠ البحر المحيط ٤١٥/٨ ، السراج المنير ٣٥١/٤.

(3) انظر: روح المعانى ٣٦/٣٠ ، الكشاف٦٩٨/٤ ، مفاتيح الغيب ٥٦/١٦ ، إعراب القرآن لابن سيدة ١٧٩/٨.

و"أما" حرف تفصيل وشرط ، و "من" شرطية ، أو موصول مبتدأ" [1].

المطلب الرابع:البلاغة

اشتملت الآيات على صور بلاغية منها:-

← أولاً:- المقابلة[2] ، بين قوله تعالى:-﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ وبين قوله:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ لأن الخوف ضد الطغيان ، وقوله:- ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ مقابل قوله: ﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾

← ثانياً:- الطباق ، بين قوله تعالى:- "الجنة ، الجحيم".

← ثالثاً:- استعارة في قوله تعالى:-﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ فنهى الخائف نفسه مستعار للانكفاف عن تناول ما تحبه النفس من المعاصى والهوى ، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة ، وهذا يشبه ما يسمى بالتجريد[3] ، يقولون: قالت له نفسه كذا فعصاها ، ويقال: نهى قلْبه"

← رابعاً:- المجاز في قوله تعالى: "مقام ربه" فهو مجاز عن الجلال والمهابة[4]

المطلب الخامس:القراءات

قال العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾

" قرأ الجمهور "وبرزت" مبنياً للمفعول ، مشدد الراء ، وقرأ: "لمن يرى" بياء

(1) انظر: التحرير والتنوير ٩١/٣٠ ، مشكل إعراب القرآن، للخراط ، صـ٥٨٤.

(2) [المقابلة] هى أن يؤتى بمعنيين متوافقتين أو معان متوافقة بما يقابلها على الترتيب = انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، صـ٣٢١ ، البلاغة الواضحة، صـ٣٢٤.

(3) [التجريد] هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمراً آخراً مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه ، نحو قولهم: لى من فلان صديق حميم ، أى: بلغ من الصداقة مبلغاًأح معه أن يستخلص منه صديق آخر = انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، صـ٣٣٨ ، التعريفات، صـ٧٣.

(4) انظر: التحريروالتنوير ٩٣/٣٠.

الغيبة ، أى: لكل أحد ، فيشكر المؤمن نعمة الله ، وقيل: لمن يرى، وهو الكافر ".

وقرأ زيد بن على[1] ، وعائشة ، وعكرمة ، ومالك بن دينار[2] "وبرزت" مبنياً للفاعل ، مخففاً ، وقرأوا "لمن ترى" بتاء من فوق ، وعلى قراءة التاء فيه وجه.

= الأول:- يجوز أن يكون خطاباً للرسول – صلى الله عليه وسلم – أى: لمن ترى من أهلها.

= الثانى:- أن تكون للتأنيث ، وفى "ترى"ضمير الجحيم ، كقوله:﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[3]

وقرأ عبد الله بن مسعود "لمن رأى" فعلاً ماضياً.

وقرأ أبو نهيك[4] "وبَرَزتْ" لمن يرى للرائين جميعاً ، أى: لكل أحد يعنى: أنها تظهر إظهاراً بيّنا مكشوفاً ، يراها أهل الساهرة كلهم" [5]

المطلب السادس:البيان والتفسير

← قوله تعالى:- ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾

" الطامة: الحادثة التى تطم على ماسواها ، أى: تعلو فوقه ، والمراد بالطامة

(1) [زيد بنى على] هو زيد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسين المدنى، ذكره ابن حبان في الثقات ، قتل بالكوفة ، قتله يوسف بن عمر في زمن هشام بن عبد الملك يوم الاثنين لثلاث خلقت من صفر سنة عشرين ومئة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة = انظر: تهذيب التهذيب ٣٦٢/٣ وتهذيب الكمال ٩٧/١٠.

(2) [مالك بن دينار] هو مالك بن دينار ، علم العلماء الأبرار، ممدوح في ثقات التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف ، ولد في أيام ابن عباس ، وثقة النسائى وغيره واستشهد به البخارى ، وحديثه في درجة الحسن ، توفى مالك سبع وعشرين ومئة ، وقيل: سنة ثلاثين ومائة = انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٥ ، وفيات الأعيان ١٣٩/٤.

(3) الفرقان: ١٢.

(4) [أبو نهيك] هو عثمان بن نهيك ، أبو نهيك الأزدى الفراهيدى البصرى ، صاحب القراءات كان يختلف إلى خراسان روى عن عبد الله بن عباس ، وعنه: حسين بن واقد المروزى وغيره ، وذكره ابن حبان في الثقات = انظر: تهذيب التهذيب ٢٣٤/١٢ ، تهذيب الكمال ٣٥٥/٣٤.

(5) انظر: روح المعانى ٣٥/٣٠ ، الدر المصون ٥٧٥٧/١ ، الباب ٢٤٧/٢٠ ، البحر المحيط ٤١٥/٨ ، مفاتيح الغيب ٥٤/١٦ ، الكشاف ٦٩٨/٤.

الكبرى: القيامة ، وقد وصفت بأوصاف عديدة في القرآن مثل: الصاخة ، والطامة ، والقارعة، والراجفة ، ووصفت بالكبرى.

وخُصت النازعات بالطامة ، وعبس بالصاخة ، لأن الطم إن كان بمعنى النفخة الأولى للإهلاك فهو قبل الصخ ، أى: الصوت الشديد الذى يحيى له الناس حين يصيخون له كما ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللائق اللاحقة ، وإن كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع في كلا الموضعين ، لأن العلم ورد بعد قوله: "تتبعها الرادفة" والصخ بعدما بين عدم إصاخة النبى – عليه السلام – لابن أم مكتوم.

← وفى المراد بالطامة الكبرى ، أربعة أقوال:–

= الأول:– أنها النفخة الثانية ، قاله: الحسن.

= الثانى:– أنها الساعة طمت كل داهية ، والساعى أدهى وأمّر ، قاله: الربيع[1].

= الثالث:– أنها اسم من أسماء يوم القيامة يسمى الطامة ، قاله: ابن عباس.

= الرابع:– أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار، قاله: القاسم بن الوليد[2] " [3]

← قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

(1) [الربيع] هو الربيع بن أنس بن زياد البكرى الخراسانى ، سمع من أبى العالية الرياحى وأكثر عنه، وأخذ عن الحسن البصرى ، سبحنه أبو مسلم الخراسانى تسع سنوات ، توفى سنة تسع وثلاثين ومئة = انظر: سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٣٣٨/٣.

(2) [القاسم بن الوليد] هو القاسم بن الوليد ثم الخبذعى ، أبو عبد الرحمن الكوفى القاضى، روى عن قتادة ومجاهد ، والتنيص وغيرهم وعنه ابنه الوليد وأبو نعيم وأسباط بن محمد وآخرون ، وثقه العجلى وابن معين ، مات سنة إحدى وأربعين ومئة = انظر: تهذيب التهذيب ٣٠٦/٨ ، تهذيب الكمال ٤٥٦/٢٣.

(3) انظر: روح المعانى ٣٥/٣٠ ، التحرير والتنوير ٩٠/٣٠ ، روح البيان ٢٤٥/١٠ ، زاد المسير ٢٤/٩ ، النكت والعيون ٣٨٢/٤.

" أى: يتذكر فيه كل أحد كائناً من كأن ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مروناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغظة وطول الأمر ، كقوله تعالى:﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) " (٢)

← قوله تعالى:﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾

" أى: أظهرت إظهاراً بيّناً لا يخفى على أحد لمن يرى كائناً من كان ، يُرْوى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر.

وقيل بأن الذى يرى هذا الجحيم هو الكافر فقط ، وليس بشئ ، والظاهر: أنها برزت ليراها كل من له عين وبصر ، وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار، إلا أنها مكان الكفار ومأواهم ، والمؤمنون يمرون عليها ، وهذا التأويل يتأكد بقوله تعالى:-﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾(٣)

فإن قيل: إنه تعالى قال في سورة الشعراء: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(٤) فخص الغاوين بتبريزها لهم ، قلنا: إنها برزت للغاوين ، والمؤمنون يرونها أيضاً في الممر ، ولا منافاة بين الأمرين" (٥)

← قوله تعالى:- ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾

قبل أن أقوم ببيان وتفسير هذه الآية يجدر بنا أن أشير إلى ما ورد في سبب نزولها ، وما بعدها إلى قوله: فإن الجنة هى المأوى:-

← فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن الآيتين نزلتا في أبى عزيز بن عمير ، وأخيه مصعب بن عمير – رضى الله تعالى عنه – كان الأول طاغياً مؤثراً الحياة الدنيا ، وكان مصعب خائفاً مقام ربه ناهياً النفس عن الهوى، وقد وقى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت السهام في جوفه، فلما

(١) المجادلة: ٦.
(٢) انظر: روح المعانى ٣٥/٣٠ ، البحر المديد ٣٥٧/٨.
(٣) مريم: ٧١ ، ٧٢.
(٤) الشعراء: ٩٠ ، ٩١
(٥) انظر: روح المعانى ٣٥/٣٠ ، مفاتيح الغيب ٥٤/١٦.

رآه عليه الصلاة والسلام متشحطا(١) في دمه، قال عند الله – تعالى – أحتسبك، وقال لأصحابه لقد رأيته وعليه بُرْدان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعله من ذهب ، ولما أسر أخوه أبو عزيز ولم يشد وثاقه إكراماً له وأخبر بذلك ، قال: ما هُوَ لى بأخ شدوا أسيركم فإن أُمَه أكثر أهل البطحاء حُليّاً ومالا ، وفى الكشاف: أنه قتل أخاه أبا عزيز يوم أحد.

← وعن ابن عباس أيضاً: أنهما نزلنا في أبى جهل ، وفى مصعب.

← وقيل: نزلت الأولى في النضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان.

← وقال السدى: نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ في أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – ، وذلك أن بكر كان له غلام يأتيه بطعام وكان يسأله من أين أتيت بهذا؟ فأتاه يوماً بطعام فلم يسأله وأكله ، فقال له غلامه: لم لا تسألنى اليوم؟ فقال: نسيت، فمن أين لك هذا الطعام؟ فقال: تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوْنيه ، فتقايأه من ساعته ، وقال: يارب ما بقى في العروق فأنت حبسته ، فنزلت الآية.

← وأياً ما ذكر في سبب نزول هذه الآيات الكريمات إلا أنه كما ذكر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآيات تحمل على العموم ، وهذا ما دعا الإمام الرازى – رحمه الله – أن يعقب على تلك الروايات بقوله:–

" فإن كان المراد أن هذه الآية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فجيد ، وإن كان المراد فتخصيصها به ، فبعيد ، لأن العبرة بعموم اللفظ بخصوص السبب ، لاسيما إذا عرف بضرورة العقل أن الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور" (٢).

---

(١) [متشحطاً] التشحط: الاضطراب في الدم = انظر: لسان العرب ٣٢٧/٧.

(٢) انظر: روح المعانى ٣٧/٣٠ ، الكشاف ٦٩٨/٤ ، البحر المحيط ٤١٦/٨ ، مفاتيح الغيب ٥٥/١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٩.

← وعما ورد في بيان وتفسير هذه الآية قال العلماء:-

" أى: فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان" [١]

← قوله تعالى:-﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾

" اختار ما في الدنيا على ما في الآخرة وانهمك فيها ولم يستعد الآخرة بالعبارة وتهذيب النفس والإيمان والطاعة" [٢]

← قوله تعالى:- ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

" أى: النار الشديدة التوقد العظيمة هى مأواه ومنزله الذى ينزله ومأواه الذى يأوى إليه لا غيرها" [٣]

← قوله تعالى:- ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾.

← أما عن تفسير المقطع الأول من الآية فقد ورد فيه أقوال:-

= الأول:- خوفه في الدنيا من الله – عز وجل – عند مواقعة الذنب فيقلع عنه ، قاله: مجاهد.

= الثانى:- خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدى الله للحساب ، قاله: الربيع بن أنس.

= الثالث:- إن لله – عزوجل – مقاماً قد خافه المؤمنون.

= الرابع:- أو: وأما من خاف ربه سبحانه على أن لفظ [مقام] مقحم ، والكلام معه كناية عن ذلك وإثبات للخوف من الرب – عزوجل – بطريق برهانى بليغ، نظير ما قيل في قوله تعالى:﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾[٤]- [٥]

← وأما عن تفسير المقطع الثانى من الآية الكريمة:-

" أى: زجرها وكفها عن الهوى المَرْدِىّ وهو الميل إلى الشهوات وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ، ولم

(١) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، روح المعانى ٣٦/٣٠.
(٢) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، بحر العلوم ٥٢٣/٣ ، تفسير البيضاوى ٤٤٩/١.
(٣) انظر: السراج المنير ٣٥١/٤ ، فتح القدير ٥٣٥/٥.
(٤) يوسف: ٢١.
(٥) انظر: روح المعانى ٣٦/٣٠ ، النكت والعيون ٣٨٢/٤ ، فتح القدير ٥٣٥/٥ ، السراج المنير ٣٥١/٤.

يغتر بزخارفها وزينتها ، علما بوخامة عاقبتها ، وعن ابن عباس، ومقاتل: أنه الرجل يَهُم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يدى ربه – سبحانه – فيخاف فيتركها.

قال الفضيل[1]: أفضل الأعمال مخالفة الهوى.

وقال سهل التسترى[2]– رحمه الله –: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وإنما يسلم من الهوى لمن ألزم نفسه الأدب.

وقال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه" [3].

← قوله تعالى:–﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

" والمراد بالجنة: مطلق دار الثواب ، أى: أن الجنة هى المنزل الذى ينزله ، والمكان الذى يأوى إليه لا غيرها" [4]

المطلب السابع: من لطائف الآيات

اشتملت الآيات على بعض اللطائف والدقائق منها:–

← اللطيفة الأولى:– لماذا جئ بالفعل المضاعف في قوله [وبرزت]؟

هذا ما أفصحت عنه عبارة العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور– رحمه الله – بقوله:– " وجئ بالفعل المضاعف ، لإفادة إظهار الحجيم لأنه إظهار لأجل الإرهاب" [5]

---

(1) [الفضيل] هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت ، التميمى اليربوعى الخراسانى المجاور بحرم الله ، ولد بسمرقند ، وثقة بن عينية ، والعجلي والنسائى ، والدارقطنى ، مات بمكة في خلافة هارون الرشيد سنة سبع وثمانين ومئة = انظر: سير أعلام النبلاء ٤١٩/٨ ، الأعلام ١٥٣/٥.

(2) [سهل التسترى] هو سهل بن عبد الله بن يونس التسترى ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص ،والرياضيات له كتاب في [تفسير القرآن ، ورقائق المحبين ، توفى سنة ٢٨٣هـ = انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ١٩٠/١٠، ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الرابعة ١٤٠٥ه ، الأعلام ١٤٣/٣.

(3) انظر: الكشاف ٦٩٨/٤ ، روح المعانى ٣٦/٣٠ ، البحر المحيط ٤١٥/٨ ، روح البيان ٢٥٥/١٠.

(4) انظر: روح البيان ٢٥٥/١٠ ، فتح القدير ٧٣٥/٥.

(5) انظر: التحرير والتنوير ٩٠/٣٠.

← اللطيفة الثانية:- ما الحكمة من تقديم الطغيان على إيثار الحياة الدنيا؟
يجيب عن الحكمة من وراء ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله:- " وقُدم ذكر الطغيان على إيثار الحياة الدنيا ، لأن الطغيان من أكبر أسباب إيثار الحياة الدنيا فلما كان مسبباً عنه ذكر عقبه مراعاة للترتيب الطبيعى" (١).
← اللطيفة الثالثة:- ما الحكمة من إضافة المقام إلى الله – عزوجل –؟
أجاب العلماء على وجه الحكمة من هذه الإضافة بقولهم:-
" أضيف المقام إلى الله – عزوجل – من حيث بين يديه ، في ذلك تفخيم للمقام وتعظيم لهوله ، وموقعه في النفوس ، قال ابن عباس:- المعنى: خافه عند المعصية فانتهى عنها" (٢).

المطلب الثامن:المعنى الإجمالى للآيات

بعد أن بين الله – عزوجل – في الآيات السابقة قدرته على البعث وخلق الناس مرة أخرى للمثول بين يديه سبحانه للحساب ، بين في هذه الآيات التى نحن بصددها صدق ما أوحى به إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم ـ من أن ذلك اليوم الذى تُجمع فيه الخلائق للحساب واقع وآت لا محالة ، فإذا حان وقت مجئ طامته الكبرى التى تطم وتغلب الناس جميعاً ، انقسم الناس فيه إلى فريقين ، فمنهم شقى وسعيد ، فأما من تكبر وتجبر وتمرد ، وجاوز الحد في اقتراف المعاصى والسيئات ، واختار الدنيا على الآخرة فإن النار الشديدة الإحراق هى مثواه ومنزله ومستقره. وأما من خشى وخاف القيام بين يدى الله – عزوجل – وأدرك عظمته ومهابته ، وزجر نفسه عن اتباع الهوى، والسير وراء الشهوات وملذات الدنيا ، فإن الجنة مأواه ومقامه ، فالجزاء من جنس العمل ، كل على قدر عمله ، وهذه طريقة عرض القرآن الكريم لكثير من القضايا التى تأتى على سبيل الترغيب والترهيب ، فالله سبحانه قد وصف أهل النار بوصفين متغايرين وهما: الطغيان ، واختيار الحياة الدنيا على الآخرة.

(١) انظر : التحرير والتنوير ٩٠/٣٠ .
(٢) انظر : المحرر الوجيز ٤٠٧/٥.

ووصف أهل الجنة بوصفين أيضاً متقابلين وهما: الخوف من مقام الله ، وزجر النفس عن الهوى.

وهيهات بين الوصفين ، والخوف من الله – تعالى – لابد وأن يكون مسبوقاً بالعلم بالله على ما قاله الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1] ، ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى ، لا جرم قدم العلة على المعلول ، فقدم الخوف على نهى النفس عن الهوى.

المطلب التاسع: ما ترشد إليه الآيات

١- وجوب الإيمان بيوم القيامة وأنه كائن وواقع لا محالة.

٢- وجوب الإيمان والتصديق بالجنة والنار وأنهما حق.

٣- انقسام الناس يوم القيامة إلى فريقين مؤمن تقى في الجنة ، وكافر فاجر في النار.

٤- الناس مؤاخذون بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

٥- يوم القيامة فيه من المواقف، والأهوال، والآيات الباهرة الخارجة عن العادة ما يُنسى معه كل هائل.

٦- الخوف من الله – تعالى – لابد وأن يكون مسبوقاً بالعلم به ، لذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

٧- بيان عدل الله – تعالى – مع عباده يوم القيامة في الجزاء ، وصدق سبحانه إذ يقول:-﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2].

---

(1) فاطر: ٢٨.
(2) الكهف: ٤٩

المبحث السادس
الحديث عن سؤال المشركين عن الساعة وميقاتها
وبيان استئثار الله بعلمها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [1]

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

يعد أن ذكر الله – تعالى – في الآيات السابقة الأدلة والبراهين على إمكانية وقوع البعث ، والحديث عن أهوال يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى سعداء، وأشقياء وجزاء كل فريق على عمله وعلى ما قدم ، بعد ذلك شرع سبحانه وتعالى في بيان أحوال المشركين وسؤالهم النبى – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة وميقاتها استهزاء منهم وعدم إيمانهم بها ، كما لم يؤمنوا بيوم القيامة، وإنكارهم للبعث.

← وعن علاقة هذه الآيات لما قبلها قال الإمام الرازى – رحم الله –:–

" واعلم أنه تعالى لما بين بالبرهان العقلى إمكان القيامة ، ثم أخبر عن وقوعها ثم ذكر أحوالها العامة ، ثم ذكر أحوال الأشقياء والسعداء فيها،﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ ، واعلم أن المشركين كانوا يسمعون إثبات القيامة ووصفها بالأوصاف الهائلة ، مثل أنها طامة ، وصاخة ، وقارعة ، فقالوا على سبيل الإستهزاء ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[2].

المطلب الثانى: سبب نزول الآيات

وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآيات الكريمات تنُم عن أن السبب في نزول هذه الآيات إنما هو سؤال المشركين عن الساعة ووقتها وكانت هذه الآيات بمثابة الإجابة على هذا السؤال.

---

(1) النازعات: ٤٢-٤٦.
(2) انظر: مفاتيح الغيب ٥٦/١٦.

← فلقد روى الإمام الحاكم، وابن جرير ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت: " لم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُسأل عن الساعة حتى نزلت: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾[1]

← وأخرج ابن أبى حاتم من طريق جويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس ، أن مشركى أهل مكة سألوا النبى – صلى الله عليه وسلم – ، فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم ، فأنزل الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ إلى آخر السورة [2].

المطلب الثالث:المفردات اللغوية

← قوله تعالى:- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾

← قوله: [يسئلونك] "سَأَل يَسْأَلُ سؤالاً ، وسآلة ، ومسألة ، وتسآلا ، ومسألة ، وسأله عن كذا وبكذا سؤالاً: استخبره عنه ، وفى التنزيل الحكيم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3] ، وسألته الشئ بمعنى: استعطيته إياه، والسؤال: استدعاء معرفة ، أو ما يؤدى إلى المعرفة ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إلى المال ، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له، بالكتابة والسؤال للمعرفة يكون تارة بالاستعلام ، وتارة للتبكيت ، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[4] وتارة لتعريف المسئول وتنبيهه لا ليُخبر ويُعلم" [5].

---

(1) انظر: المستدرك على الصحيحين كتاب: الإيمان ٤٦/١ حديث رقم ٧ ، وسكت عنه الذهبى.

(2) انظر: لباب النقول في أسباب النزول ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، صـ٢٩٥ ، ط : مكتبة الصفا ـ القاهرة – الأولى ١٤٢٣ه ٢٠٠٢م.

(3) المائدة: ١٠١.

(4) التكوير: ٨.

(5) انظر: لسان العرب ٣١٨/١١ ، المعجم الوسيط ٤١١/١ ، تاج العروس ٧١٥٠/١ ، بصائر ذوى التمييز ٨٦٣/١ ، المفردات، صـ٢٥٠.

← قوله: [الساعة] "الساعة: جزء من أجزاء الوقت والحين وإن قل ، وجزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار ، وآلة يعرف بها الوقت بالساعات، والدقائق ، والثوانى.

والساعة: اسم للوقت الذى تصعق فيه العباد والوقت الذى يبعثون فيه ، وتقوم فيه القيامة ، ويعبر عن الساعة بالقيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه ، والساعة فى الأصل تطلق بمعنين:-

= أحدهما: أن يكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هى مجموع اليوم والليلة.

= الثانى: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار والليل ، يقال: جلست عندك ساعة من النهار ، أى: وقتا قليلاً منه ، ثم استعير لاسم يوم القيامة"[1].

← قوله [أيان] "معناه: أىُّ حين ، وهو سؤال عن زمان ، مثل متى ، وفيها لغة بكسر الهمزة ، فأيان: عبارة عن وقت الشئ ، وهو جامد غير متصرف مركب من [أى] الاستفهامية ، و[آن] وهو الوقت ، ثم خففت [أى] وقلبت همزة [آن] ياء ليتأتى الأدغام ، فصارت أيان ، بمعنى: أى زمان" [2].

← قوله: [مُرْسَهَا] "رسَا الشئ يَرْسُو رُسُوّاً ، وأَرْسَى: ثبت ، وأرساه هو ، ورَسَا الجبل يَرْسُو: إذا ثبت أصله فى الأرض ، والمرسى: يقال للمصدر والمكان ، والزمان ، والمفعول ، ورسوت بين القوم ، أى: أثبت بينهم الصلح ، والمرسى: مصدر ميمى من الارساء ، وهو الاقرار ، يقال: رسا الجبل: ثبت ، وأرساه أثبته وأقره ، والإرساء: الاستقرار بعد السير" [3].

← قوله تعالى: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾

(1) انظر: لسان العرب ١٦٩/٨ ، المعجم الوسيط ٤٦٣/١ ، بصائر ذوى التمييز ٩٢٤/١ المفردات، صـ٢٤٨.

(2) انظر: المفردات، ص٣٤، لسان العرب ٤٠/١٣ ، التحرير والتنوير ٢٠١/٩.

(3) انظر: لسان العرب ٣٢١/١٤ ، المفردات، صـ١٩٦ ، بصائر ذوى التمييز ٨١٥/١ ، التحرير والتنوير ٢٠١/٩.

← قوله: [ذِكْرَىٰهَآ] "ذكر الشئ ذكراً، وذكرى، وتذكار: حفظه واستحضره ، وجرى على لسانه بعد نسيانه ، والذكرى: اسم مصدر الذِّكر ، والمراد به هنا: الذكر اللسانى" (١).

← قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾

← قوله: [مُنتَهَىٰهَآ] " نهاية الشئ: أقصاه وآخره ، ونهايات الدار: حدودها وانتهى الأمر: بلغ النهاية ، وهى أقصى ما يمكن أن يبلغه.

والمنتهى: أصله مكان انتهاء السير ، ثم أطلق على المصير ، لأن المصير لازم للانتهاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ ، ثم توسع فيه فأطلق على العلم"(٢).

← قوله تعالى:- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾

← قوله: [مُنذِرُ] "يقال: أنذرته إنذاراً ، والنُّذُر: جمع النذير ، وهو الإسم من الإنذار ، وتناذر القوم: أى خوّف بعضهم بعضاً ، والإنذار: الإبلاغ ، ولا يكون إلا فى التخويف ، والنذير: المحذر ، وأنزرت الرجل كذا إنذاراً أبلغته ، وأكثر ما يستعمل فى التخويف" (٣).

← قوله تعالى:-﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾

← قوله: [يَرَوْنَهَا] "رأيت الشئ رؤيةً: أبصرته بحاسة البصر ، ورؤية العين: معاينتها للشئ.

والرؤية: النظر بالعين والقلب.

والرؤية بالعين يعدى إلى مفعول واحد ، وبمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين يقال: رأى زيداً عالماً ، وقال الراغب: رأى إذا عدى إلى مفعولين اقتضى معنى العلم وإذا عدى إلى مفعول اقتضى معنى النظر المؤدى إلى الإعتبار"(٤)

(١) انظر: التحرير والتنوير ٩٦/٣٠ ، المعجم الوسيط ٣١٣/١.
(٢) النجم: ٤٢.
(٣) انظر: التحرير والتنوير ٩٦/٣٠ ، المعجم الوسيط ٢٠/١.
(٤) انظر: لسان العرب ٢٠٠/٥ ، المصباح المنير ٢٣٠/٩.

← قوله[لَّبِثُوٓاْ]:اللَّبْث ، واللَّبَاثُ: المكْثُ ومنه قوله تعالى:﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾[1] يقال: لَبِثَ لُبْثا ولُبَاثا ، كل ذلك جائز: أى أقام ، ولبث بالمكان: أقام به ملازماً له ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾[2] " [3].

← قوله: [عَشِيَّةً] " العشى: من زوال الشمس إلى الصباح ، والعشاء: من صلاة المغرب إلى العتمة ، والعشاءان: المغرب والعتمة ، والعَشوة: الظلمة ، كالعشواء، أو ما بين أول الليل إلى ربعه ، والعِشاء: أول الظلام ، أو من المغرب إلى العتمة، أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر" [4]

المطلب الرابع:الإعراب

← قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾

← قوله: [أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا] "أيان" إسم ظرف زمان مبنى لتضمنه معنى الاستفهام وهو جامد غير متصرف.

والجملة فيهان وجهان:-

= الأول:- أن [أيان] خبر مقدم ، و [مرساها] مبتدأ مؤخر.

= الثانى:- أن [أيان] منصوب على الظرف بفعل مضمر دل عليه فعل [يسألونك] والتقدير: يقولون: أيان مرساها ، ولذلك كانت الجملة فى معنى البدل من جملة "يسألونك عن الساعة" فهى بدل من الساعة ، بدل اشتمال.

وقيل: إن الجملة فى موضع جر بدلاً من [الساعة] تقديره:- يسألونك عن زمان حلول الساعة" [5].

---

(1) النبأ: ٢٣.

(2) العنكبوت: ١٤.

(3) انظر: لسان العرب ١٨١/٢ ، تاج العروس ١٢٩٨/١ ، المفردات، ص٤٤٦، بصائر ذوى التمييز ١٣٥٨/١.

(4) انظر: لسان العرب ٥٦٨٥ ، القاموس المحيط ١٦٩١/١ ، المعجم الوسيط ٦٠٣/٢ ، المفردات ٣٣٥.

(5) انظر: الدر المصون ٢٩٣٧/١ ، اللباب ٤٠٩/٩ ، التحرير والتنوير ٢٠١/٩.

← قوله تعالى:﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا ﴾

قوله: [فِيمَ] [فى] للظرفية المجازية بجعل المشركين فى إحفائهم بالسؤال عن وقت الساعة.

كأنهم جعلوا النبى – صلى الله عليه وسلم – محوطاً بذكر وقت الساعة ، أى: متلبساً به تلبس العالم بالمعلوم ، فدُل على ذلك بحرف الظرفية.

و[ما] اسم استفهام بمعنى: أى شئ؟؟ مستعملة فى التعجيب من سؤال السائلين عنها، ثم توبيخهم ، وحذف ألف [ما] لوقوعها بمد حرف الجر ، مثل:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1] ، فيجب حذف ألف [ما] الاستفهامية وإبقاء الفتحة إذا سيقف بحرف وقوله: "فِيمَ" خبر مقدم.

← قوله: [أنت] مبتدأ مؤخر.

← قوله: [مِن ذِكْرَىٰهَا] إما متعلق بالاستقرار الذى فى الخبر ، أو هو حال من المبتدأ.

وتقديم [فِيمَ] على المبتدأ للاهتمام به ، ليفيد أن مضمون الخبر هو مناط الإنكار" [2]

← قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾

" الجملة فى موقع العلة للإنكار الذى اقتضاه قوله: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا ﴾ ولذلك فصلت، وفى الكلام تقدير مضاف ، والمعنى: إلى ربك علم منتهاها وتقديم المجرور على المبتدأ ، لإفادة القصر ، أى: لا إليك ، وهذا قصر صفة على موصوف" [3]

← قوله تعالى:-﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾

← قوله: [إنما] " أداة قصر ، وفى نوع هذا القصر وجهان:-

= أحدهما:- أن يكون القصر [بإنما] من قصر الموصوف على الصفة ، والمعنى: ما أنت إلا منذر لا معلم بالوقت مبين له.

---

(1) النبأ: ١.
(2) انظر: التحرير والتنوير ٩٥/٣٠ ، اللباب ١٤٩/٢٠.
(3) انظر: التحرير والتنوير ٩٦/٣٠.

= الثانى:- أنه من قصر الصفة على الموصوف ، والمعنى: أى ما أنت منذر إلا من يخشى دون غيره" [١].

← والأول هو الظاهر كما قال الإمام الألوسى – رحمه الله – لأنه يناسب المقام ، فقد أفادت [إنما] قصر المخاطب على صفة الإنذار ، أى: تخصيصه بحال الإنذار، ويعضد هذا قوله تعالى:-﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[٢] ، وقوله:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣] ولفظ [الناس] يعم جميع المكلفين ، والإنذار أيضاً يعمهم" [٤]

المطلب الخامس:البلاغة

اشتملت الآيات على بعض الصور البلاغية ، منها:-

← أولاً:- الاستعارة ، فى قوله تعالى: ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾فقد أطلق الإرساء هنا استعارة للوقوع تشبيهاً لوقوع الأمر الذى كان مترقباً أو متردد فيه بوصول السائر فى البر أو البحر إلى المكان الذى يريده " [٥].

← ثانياً:- التشبيه ، فى قوله تعالى:-﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ فالعشية: معبر بها عن مدة يسيرة من زمان طويل على طريقة التشبيه ، وهو مستفاد من [كأنهم] فهو تشبيه حالهم بحالة من لم يلبث إلا عشية ، وهذا التشبيه مقصود منه تقريب معنى المشبَّه من المتعارف " [٦].

← ثالثاً:- الطباق ، بين قوله تعالى "عشية ، وضحاها"

المطلب السادس:القراءات

← قوله تعالى:-﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾

" قرأ الجمهور بإضافة [منذر] إلى من [يخشاها] بدون تنوين ، على إضافة الصفة لمعمولها تخفيفاً.

وقرأ: أبوجعفر ، وعمر بن عبدالعزيز[٧] ، وطلحة[١] ، وابن محيصن ، بتنوين

---

(١) انظر: روح المعانى ٣٧/٣٠ ، روح البيان ٢٥٦/١٠.
(٢) فاطر: ٢٣.
(٣) سبأ: ٢٨.
(٤) انظر: روح المعانى ٣٧/٣٠ ، التحرير والتنوير ٩٦/٣٠.
(٥) انظر: التحرير والتنوير ٢٠٢/٩.
(٦) انظر: المصدر السابق ٩٨/٣٠.
(٧) [عمر بن عبد العزيز] هو أمير المؤمنين ، أبو حفص الأموى ، خامس الخلفاء الراشدين ، ولد بالمدينة سنة ستين ، أمه: أم عاصم بن عمر بن الخطاب ، كان من أئمة الإجتهاد والخلفاء الراشدين ، ولى المدينة سنة ست وثمانين ، وولى الخلافة بعد سليمان سنة تسع وتسعين ،

بتنوين [منذر] ويكون فى موضع نصب ، والمعنى: إنما ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة، قال الزمخشرى: التنوين هو الأصل ، والإضافة تخفيف ، وكلاهما يصلح للحال والإستقبال ، فإذا أريد الماضى فليس إلا الإضافة ، كقولك: هو منذرُ زيدٍ أمس" [٢].

رءوس الآى المماثلة من خلال السورة الكريمة

قوله تعالى فى السورة الكريمة:- "موسى ، طوى ، تزكى ، فتخشى ، الكبرى، عصى ، يسعى ، فنادى ، الأعلى ، الأولى ، يخشى ، بناها ، فسواها ، ضحاها ، دحاها ، مرعاها ، أرساها ، الكبرى ، سعى ، يرى ، من طغى ، الدنيا ، المأوى ، مرساها ، ذكراها ، منتهاها ، يخشاها ،

فقد أمالها كلها الأخوان[٣] ، وخلف ، لا فرق فى ذلك بين الرائى ، مثل [يرى] وغيره ، نحو [الأعلى] ولا بين ما فيه [ها] نحو: [بناها] وغيره ، نحو ما ذكر، إلا [دحاها] فلا يميلها إلا الكسائى.

وأما البصرى[٤] فقد أمال ذوات الراء نحو [الكبرى] و [ذكراها] ، وقلّل غيرها ، قولاً واحداً ، نحو: [سعى وبناها] ، وأما ورش: فقلل ذوات الراء قولاً واحداً ، لا فرق فى ذلك بين ما فيه [ها] وهو [ذكراها] وغيره، نحو: [الكبرى] ، وأما غير ذوات الراء فإن لم تكن مقرونة بها فإنه يقللها قولاً واحداً، نحو: [فعصى،

وتوفر بدير سمعان سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته سنتان ونصف = انظر: سير أعلام النبلاء ١١٤/٥، شذرات الذهب ١٩٩/١ ، الأعلام ٥٠/٥.

(١) [طلحة] هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الكهمرانى اليامى ، أبو محمد ويقال أبو عبد الله الكوفى، قال ابن معين، وأبو حاتم والعجلى ثقة، كانوا يسمونه سيد القراء،= وكان من أقرأ أهل الكوفة وخيارهم ، توحى طلحة فى آخر سنة اثنى عشرة ومئة = انظر: [تهذيب التهذيب] ٢٣/٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٣/٥.

(٢) [ابن محيصن] هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى ، مولاهم ، المكى مقرئ أهل مكة مع ابن كثير ثقة ، قرأ على مجاهد ، وكان عالماً بالعربية والأثر ، ما تسنه ثلاث وعشرين ومائة = انظر: تهذيب التهذيب ، غاية النهاية، صـ٣٥٠.

(٣) انظر: النشر فى القراءات العشر ٤٣٩/٢ ، إتحاف فضلاء البشر، ص٥٧١، روح المعانى ٣٨/٣٠ ، الكشاف ٧٠٠/٤ ، الدر المصون ٥٧٥٩/١.

(٤) [الأخوان] المراد بهما:- حمزة والكسائى = انظر: البدور الزاهرة، صـ٩.

والأعلى] وإن كانت مقرونة بها، مثل: [بناها] فله فيها الفتح والتقليل" [1].

المطلب السابع: البيان والتفسير

← قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾

← قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ فيه قولان:-

" = أحدهما:- أن السائل عنها اليهود ، قاله: ابن عباس.

= الثانى:- أن السائل عنها قريش ، قاله: الحسن ، وقتادة.

← قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:-

" = أحدها:- متى قيامها ، قاله: السدى ، أى: متى يقيمها الله – تعالى – ويكونها ويثبتها.

= الثانى:- متى منتهاها ، قاله: ابن عباس ، أى: متى منتهاها ومستقرها ، كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى إليه وتستقر فيه.

= الثالث:- متى ظهورها ، قاله: الأخفش" [2]

← والمراد من الساعة : " الساعة معرفة باللام: علم بالغلبة فى اصطلاح القرآن على وقت فناء هذا العالم الدنيوى، والدخول فى العالم الأخروى وتسمى: يوم البعث، ويوم القيامة ، وسميت بذلك:

" لأنها تفجأ الناس فى ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة ، وقيل: لوقوعها بغتة ، أو لسرعة حسابها ، أو على العكس لطولها ، أو لأنها عند الله – تعالى – على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ، فهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن.

= وقيل الساعات التى هى القيامة ثلاثة:-

---

(1) [البصرى] المراد به أبو عمرو البصرى زيان بن العلاء بن عمار البصرى أحد القراء العشر = انظر [البدور الزاهرة صـ٤].

(2) انظر: النكت والعيون ٣٨/٢ ، التحرير والتنوير ٩٨/٣٠ ، روح المعانى ٣٨/٣٠.

- الساعة الكبرى ، وهى بعث الناس للمحاسبة.
- والساعة الوسطى ، وهى موت أهل القرن الواحد.
- والساعة الصغرى ، وهى موت الإنسان ، فساعة كل إنسان: موته" [1].

← قوله تعالى:﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا ﴾

" إنكار ورد السؤال المشركين عنها ، أى: فى أى شئ أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها ، فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غياً ، ووقتها مما استأثره الله – تعالى – بعلمه" [2]

← وقد ذكر العلماء فى المراد من الآية قولان:-

الأول:- معناه: فى أى شئ أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألوك بيانها ، كقوله تعالى:- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ [3]، فالاستفهام للإنكار ، ونظيره قول القائل: إذا سأله رجل عن شئ لا يليق به: ما أنت وهذا؟ وأى شئ لك فى هذا؟

وعن عائشة:- " لم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية" [4] ، فهو على هذا تعجيب من كثرة ذكره لها ، كأنه قيل: فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها؟

والمعنى: أنهم يسألونك عنها ، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها.

= الثانى:- وقيل: [فيم] إنكار لسؤالهم ، وما بعده استئناف تعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال ، أى: فيم هذا السؤال ، ثم ابتدئ ، فقيل:-

أنت من ذكراها ، أى: إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علامتها ، ودليل يدل على العلم بوقوعها عن قريب ، فحسبهم

---

(1) انظر: الكشاف ١٧٢/٢ ، روح البيان ٢٢٢/٣ ، تفسير أبى السعود ٣٠٠/٣ ، اللباب ٤٠٩/٩.

(2) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٥/٩ ، تفسير البيضاوى ٤١٦/٨

(3) الأعراف: ١٨٧.

(4) سبق تخريجه عند ذكر سبب النزول.

هذه المرتبة من العلم ، وكفاهم بذلك دليلاً على دنوها ، ووجوب الاستعداد لها ، ولا فائدة فى سؤالهم عنها" [1].

← قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾

" أى: إلى ربك يرجع منتهى علمها ، أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا إلى أحد غيره ، وإنما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ، ومشارفتها ، وقد حصل لهم ذلك بمبعثك ، فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك" [2].

← قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾

" تقرير لما قبله من قول سبحانه:﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ ، وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن ، فإن إنكار كونه صلى الله عليه وسلم فى شئ من ذكراها مما يوهم بظاهره أنه ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيح ذلك ببيان أن المنفى عنه صلى الله عليه وسلم ذكراها بتعين وقتها حينما كانوا يسألونه عنها ، فالمعنى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ ويخاف أهوالها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأهوال كما تحيط به لا معلم بتعيين وقتها الذى لم يفوض إليك ، فما لهم يسألونك عما لم تبعث ولم يفوض إليك أمره ، فهو تقرير لما قبله من أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء – عليهم السلام – منذر بمجئ الساعة ، كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم "بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقنى"[3] – " [4].

---

(1) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، روح المعانى ٣٧/٣٠ ، الكشاف ٧٠٠/٤ ، مفاتيح الغيب ٥٧/١٦.

(2) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٤/٩ ، روح المعانى ٣٧/٣٠.

(3) انظر: مسند أحمد بن حنبل ١٥٤/٥٠ حديث رقم ٢٣٦٤٩ من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ، وقال عنه الهيثمى:- رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح = انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ٥٦٠/١٠ ، ط : دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ.

(4) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٥/٩ ، روح المعانى ٣٨/٣٠.

← قوله تعالى:- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾

" أى: كأن الكفار يوم يرون الآخرة أو الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا نهارها واستقصروا مرة لبثهم فى القبور لما عاينوا من الهول" (١)

← والعشية تكون بعد الزوال ، والضحى ما قبل الزوال " (٢)

← وقد اختلف العلماء فى المراد من اللبث هل يكون فى الدنيا أم فى القبور؟ أم فى غيرهما؟

عبارة الإمام أبو السعود ، والألوسى – رحمها الله – تشير إلى أن اللبث إنما يكون بعد الإنذار، ورداً لاستبطائهم وتأخيرهم الساعة ، وإليك ما ذكره الإمام أبو السعود فى هذا الصدد:-

" إما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الإنذار من سرعة مجئ المنذر به ، أى: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاة ، وإما رد لما أدمجوه فى سؤالهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ، وإن كان على نهج الإستهزاء بها﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣) والمعنى: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها تحقيقاً للانذار ورداً لإستبطائهم" (٤).

= أما جمهرة المفسرين فقد قالوا بأن المراد من مدة اللبث ، إما مسافة مكثهم فى الدنيا ، وإما فى القبور" (٥).

المطلب الثامن: من لطائف الآيات

احتوت الآيات على بعض اللطائف والدقائق منها:-

← اللطيفة الأولى:- رب قائل يقول: الإرساء إنما يكون للسفينة والجبال وما أشبههن ، فكيف توصف الساعة بالإرساء؟

(١) انظر: النكت والعيون ٣٨٢/٤ ، التسهيل ٢٥٥٦ ، الوجيز ١١٧٣.
(٢) انظر: النكت والعيون ٣٨٢/٤.
(٣) يونس: ٤٨.
(٤) انظر: تفسير أبى السعود ١٠٦/٩ ، روح المعانى ٣٨/٣٠.
(٥) انظر: تفسير البيضاوى ٤٥٠/١ ، الكشاف ٧٠٠/٤ ، بحر العلوم ٥٢٣/٣ ، البحر المحيط ٤١٦/٨ ، تفسير الخازن ٢٠٨/٧ ، فتح القدير ٥٣٦/٥.

وللإجابة على هذا السؤال قال العلماء:-

" إن الساعة هنا بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست ، ورسوّها: قيامها ، وليس قيامها كقيام القائم على رجله ونحوه ، إنما هو كقولك: قد قام العدل ، وقام الحق ، أى: ظهر وثبت.

فلا يكاد يستعمل الإرساء إلا فى الشئ الثقيل ، كما فى قوله تعالى:﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ومنه: مرساة السفن ، فنسبته هنا إلى الساعة بإعتبار تشبيه المعانى بالأجسام" [1]

← اللطيفة الثانية:- ما الحكمة من التعبير بالمضارع فى قوله: [يسئلونك]؟

هذا ما وضحته عبارة شيخ الأشياخ الطاهر بن عاشور – رحمه الله – بقوله:- " وحكى فعل السؤال بصيغة المضارع للدلالة على تجدد هذا السؤال وتكرره" [2].

← اللطيفة الثالثة:- ما الحكمة من الإتيان بلفظ الربوبية فى قوله: [إلى ربك]؟

هذه الحكمة تفصح عنها مقالة الإمام الألوسى – رحمه الله – بقوله:-

" والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره الله تعالى عليه ، قيل: للإيذان بأن توفيقه عليه الصلاة والسلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد وهو أولى" [3].

← اللطيفة الرابعة:- ما الحكمة من تخصيص الإنذار بمن يخشى؟

قرأت فى ذلك مراجع عدة فلم أجد أفضل ما سطره شيخ المفسيرين فى العصر الحديث الشيخ الطاهر بن عاشور – رحمه الله – حيث قال:-

" وفى إضافته [منذر] إلى [من يخشاها] ... للعلم المتواتر من القرآن بأن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان ينذر جميع الناس لا يخص قوماً دون

---

(1) انظر: معانى القرآن، للفراء ١٨٢/٥ ، روح المعانى ١٣٢/٩ ، تفسير أبى السعود ٣٠٠/٣.
(2) انظر: التحرير والتنوير ٩٥/٣٠.
(3) انظر: روح المعانى ١٣٣/٩.

آخرين فإن آيات الدعوة من القرآن ومقامات دعوة النبى – صلى الله عليه وسلم – لم تكن إلا عامة، ولا يُعرف من يخشى الساعة إلا بعد أن يؤمن المؤمن ، ولو عرف أحد بعينه أنه لا يؤمن أبداً لما وجهت إليه الدعوة ، فتعين أن المراد:-

أنه لا ينتفع بالإنذار إلا من يخشى الساعة ، ومن عداه تَمُر الدعوة بسمعه فلا يَأبَهُ بها ، فكان ذكر [من يخشاها] تنويهاً بشأن المؤمنين وإعلاناً لمزيتهم وتحقيراً للذين بقُوا على الكفر" (١)

← اللطيفة الخامسة:- لماذا صحت إضافة الضحى إلى العشية؟

أضيف الضحى إلى العشية لأمرين:-

= " الأول:- لما بينهما من الملابسة لإجتماعهما فى نهار واحد.

= الثانى:- من حيث هما طرفان للنهار ، وقد بدأ بذكر أحدهما فأضاف الآخر إليه تجوزاً واتساعاً " (٢)

← اللطيفة السادسة:- لماذا لم يقل إلا عشية أو ضحى؟ وما فائدة الإضافة فى قوله: [ضحاها]؟

الحكمة من ذلك أجاب عنها العلماء بثلاثة أقوال:-

= " الأول:- للدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً ، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه ، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته ، فهو كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ (٣)

= الثانى:- أن مسوغ الإضافة: جرى على استعمال عربى شائع فى كلامهم ، قال الفراء ، والزجاج:-

أضيف الضحى إلى العشية وهو اليوم الذى يكون فيه على عادة العرب

(١) انظر: التحرير والتنوير ٩٨/٣٠ ، تفسير أبى السعود ١٠٦/٩ ، روح المعانى ٣٨/٣٠ ، مفاتيح الغيب ٥٧/١٦.

(٢) انظر: الكشاف ٧٠٠/٤ ، تفسير الخازن ٢٠٨/٧ ، التسهيل ٢٥٥٦ ، البحر المحيط ٤١٦/٨ ، المحرر الوجيز ٤٠٨/٥

(٣) الأحقاف: ٣٥.

يقولون:-

آتيك الغداة أو عشيتها ، وآتيك العشية أو غداتها ، فمسوغ الإضافة: أن الضحى أسبق من العشية ، إذ لا تقع عشية إلا بعد مرور ضحى ، فصار ضحى ذلك اليوم يعرّف بالإضافة إلى عشية اليوم لأن العشية أقرب إلى علم الناس لأنهم يكونون فى العشية بعد أن كانوا فى الضحى ، فالعشية أقرب والضحى أسبق.

= الثالث:- مما يزيد الإضافة حسناً رعاية الفواصل التى هى على حرف الهاء المفتوحة من﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[1]

المطلب التاسع:المعنى الإجمالى للآيات

وصلنا بفضل الله وتوفيقه إلى الحديث عن مسك الختام من خلال هذه السورة الكريمة ، والتى تتحدث فيها الآيات عن خطاب النبى – صلى الله عليه وسلم – بأمر يوم القيامة ، فتذكر الآيات تساؤل المشركين على سبيل التهكم والسخرية عن ميعاد يوم القيامة حتى يقيمها الله ويوجدها وذلك حين كانوا يسمعون النبى – صلى الله عليه وسلم – يذكر يوم القيامة بأوصافه الهائلة مثل: الطامة ، والصاخة ، والآزفة ، والحاقة ، والقارعة ، فكانوا يطلبون أن يتعجل مجيئها ، كما يدل عليه قوله تعالى:- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾[2] وكان صلى الله عليه وسلم يحرص ويتمنى هداية قومه فتمنى لو كان يجيبهم على هذا السؤال ، فكانت الإجابة أن علمها ليس موكل إليك يا محمد ولا إلى أحد من الخلق ، بل مردها ومنتهاها إلى الله – عزوجل – ، ونظير ذلك قوله:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[3] ، وصدق سبحانه أيضاً: إذ

(1) انظر: الكشاف ٧٠٠/٤ ، معانى القرآن، للفراء ١٨٣/٥ ، التحرير والتنوير ٩٨/٣٠ مفاتيح الغيب ٥٨/١٦ ، فتح القدير ٥٣٦/٥ ، تفسير الخازن ٢٠٨/٧.

(2) الشورى: ١٨.

(3) الأعراف: ١٨٧.

يقول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ .... ﴾ [1]الآية.

ثم وضح سبحانه بأن وظيفة النبى – صلى الله عليه وسلم – هى الإنذار بالساعة والتخويف بها لمن يخشى الله ويخاف مقامه فهم المنتفعون بهذا الإنذار ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾[2].

وأما من كذب بهذه الساعة ولم يؤمن بها وأكْثَر من السؤال عنها استهزاء ، فهم حين يرون أهوالها وشدائدها وما تشيب له الولدان يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا، أو فى قبورهم سوى وقت يسير يُقَدَّر بأنها قدر عشية من ليل، أو ضحى من نهار يَعْقُبُ تلك العشية ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[3]، وقال أيضاً:- "لم يلبثوا إلا ساعة من نهار[4] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارٖ ﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ ﴾[6]

المطلب العاشر: ما ترشد إليه الآيات

١- وجوب الإيمان بالغيبات والتى من جملتها قيام الساعة.

٢- منتهى علم الساعة إلى الله – عز وجل – فهى مما استأثر الله بعلمه ، فكل مسؤول عنها غير الله ليس بأعلم من السائل.

٣- للساعة علامات بعضها ورد فى الكتاب ، والآخر ورد فى السنة ، وليس معنى ذلك أنه تعيين لوقتها ، وإنما هى مقدمات تشير إلى قربها.

(1) لقمان: ٣٤.
(2) يس: ١١.
(3) الإسراء: ٥٢.
(4) الأحقاف: ٣٥.
(5) يونس: ٤٥.
(6) الروم: ٥٥.

٤- اقتضت حكمة الله – تعالى – بالاستئثار بعلم الساعة ولم يطلع عليها أحداً من خلقه ، لأن التخويف والإنذار إنما يكملان إذا لم يكن العلم بوقت الساعة حاصلاً ومعلوماً.

٥- نَهْى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن البحث عن الساعة واشتغاله بأمرها، وإن كاد يبخع نفسه حرصاً على إيمان قومه.

٦- أن مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تنحصر فى الإنذار بالساعة لا فى تعيين قيامها، ووقتها.

٧- أن الذى ينتفع بهذا الإنذار المحمدى هو من يخشى الله ويخاف وعيده.

٨- بيان أن الشدائد، والأهوال يُنسى بعضها بعضاً.

٩- ذهول المشركين من شدة الهول عن مقدار لبثهم فى الدنيا، أو فى قبورهم .

١٠- صدق الله – عزوجل – فيما جاء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله: إذ يقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[1] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[2]

(1) النساء: ٨٧
(2) النساء: ١٢٢

الخاتمة

الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتقضى المطالب والحاجات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عن صحابته الكرام ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن لكل شئ نهاية ، ولكل بدء خاتمة، وبعد رحلة ممتعة صحبت من خلالها تفسير سورة النازعات كان لى دَوحة أفئ إلى ظلها ، وألجأ إلى ثمرها ، وهى متمثلة فى أن أهداف السورة الكريمة تتلخص فيما يلى:-

← أولاً:- تحديد القسم والمقسم عليه من خلال السورة الكريمة ، وقد بينت أن القول الراجح : أن المراد من الصفات المذكورة فى صدر السورة هى الملائكة الكرام إذ أنها برمتها تتناسب مع أوصاف الملائكة ، وذيلت ذلك بأسباب هذا الترجيح.

كما وضحت أيضاً أن القول الراجح بين المفسرين فى تحديد جواب القسم أنه محذوف تقديره: لتبعثن، وبيان علة هذا الترجيح.

← ثانياً:- إثبات عقيدة البعث وبيان موقف المشركين منها ، فلقد تحدثت السورة فى صدرها عن تأكيد ووقوع البعث وناقشتْ منكرى البعث فى إنكارهم له، وأقامت عليهم الحجة والبرهان فأفحمتهم ولم يجدوا ما يدافعون به عن سبب إنكارهم وما هو إلا تعنت واستكبار منهم.

← ثالثاً:- الحديث عن قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون ، وأن الله – عزوجل – قد أرسل نبيه إلى فرعون بسبب طغيانه، وتجاوزه الحد فى كفره حتى ادعى الربوبية ، يدعوه إلى عبادة الله الأحد إلا إنه تكبر، وتجبر ، فكانت عاقبته الغرق، والإهلاك ليكون عبرة لمن يعتبر.

← رابعاً:- سوق الأدلة، والبراهين التى تدل على إثبات ووقوع البعث ، وإبراز بعض مظاهر قدرة الله – عزوجل – ونعمه على خلقه ، حيث لفتتْ السورة أنظار الناس بصفة عامة، ومنكرى البعث بصفة خاصة إلى تلك الأجسام

العلوية ، والسفلية التى خلقها الله – تعالى – على نظام محكم متقن بديع ، وهى السموات والأرض وما فيهما من أسرار، ودلائل إن دلتْ على شئ فإنما تدل على أن لهذا الكون خالقاً ذا قدرة عظيمة وكما أنه قادر على خلق هذه الأشياء، فقدرته على إعادة وخلق الناس ثانية أسهل وأيسر ، إذا قورنت هذه المخلوقات بخلق الإنسان.

← خامساً:- الحديث عن يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى فريقين:- فريق السعداء ، وفريق الأشقياء، وما أعده الله – عزوجل – من ثواب وعقاب لكل فريق بصفة عامة ، ولكل من آمن وكذب وأنكر وقوع البعث بصفة خاصة.

← سادساً:- الحديث عن سؤال المشركين الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة، والوقت التى ستقع فيه ، وأن مثل هذه الأمور الغيبية مما استأثر الله – تعالى – بها ، وبيان أن مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه منذر بالساعة، وأهوالها ، وبيان حال الكافرين فى هذا اليوم، وجزاء استهزائهم بالساعة، وبمن أنذر بها.

وأخيراً

أحمد الله – عز وجل – أن وفقنى، وأعاننى على إتمام هذا البحث ، فإليه يرجع الأمر كله ، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى إنه على كل شئ قدير ، وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين

دكتور/ عاطف محمد الخولى
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

ثبت الأعلام

م	العلم	اللقب	الصفحة
١	على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى	الواحدى النيسابورى	٣٢٩٦
٢	على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى	الماوردى	٣٢٩٩
٣	أحمد بن محمد الثعلبى	الثعلبى	٣٣٠٠
٤	معمر بن المثنى	أبو عبيدة	٣٣٠٠
٥	محمد بن السائب	إبن السائب	٣٣٠١
٦	يحيى بن زياد	الفراء	٣٣٠١
٧	أبو صالح		٣٣٠١
٧	عطية بن الحارث	أبو روق	٣٣٠٢
٩	خالد بن معدان		٣٣٠٢
١٠	سعيد بن مسعدة	الأخفش الأوسط	٣٣٠٤
١١	إبراهيم بن السرى	الزجاج	٣٣٠٤
١٢	على بن حمزة	الكسائى	٣٣٠٥
١٣	محمد بن القاسم بن محمد	إبن الأنبارى	٣٣٠٧
١٤	أحمد بن محمد بن إسماعيل	أبو جعفر النحاس	٣٣٠٧
١٥	محمود بن عمر	جار الله الزمخشرى	٣٣١٤
١٦	نافع بن عبد الرحمن الليثى	أبو رويم	٣٣١٧
١٧	عبد الله بن عامر اليحصبى	إبن عامر	٣٣١٧
١٨	يعقوب بن إسحاق الحضرى	يعقوب	٣٣١٧

١٩	يزيد بن القعقاع	أبو جعفر	٣٣١٨
٢٠	زبان بن العلاء	أبو عمرو	٣٣١٨
٢١	عبد الله بن كثير	ابن كثير – صاحب القراءات	٣٣١٨
٢٢	شريح بن يزيد	أبو حيوة	٣٣١٨
٢٣	عبد الله بن قيس	أبو بحرية	٣٣١٨
٢٤	إبراهيم بن أبى عبلة		٣٦٣٣١٩
٢٥	عاصم بن أبى النجود	أبو بكر	٣٣١٩
٢٦	حمزة بن حبيب	حمزة صاحب القراءات	٣٣١٩
٢٧	خلف بن هشام	خلف صاحب القراءات	٣٣١٩
٢٨	محمد بن المتوكل	رويس	٣٣١٩
٢٩	سليمان بن مهران	الأعمش	٣٣١٩
٣٠	عثمان بن سعيد المصرى	ورش	٣٣١٩
٣١	حفص بن عمر	الدورى	٣٣١٩
٣٢	الخليل بن أحمد		٣٣٢٢
٣٣	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم		٣٣٢٢
٣٤	محمد بن كعب		٣٣٢٤
٣٥	أحمد بن كامل	إبن شجرة	٣٣٢٣
٣٦	يحيى الإسلام		٣٣٢٤
٣٧	عثمان بن أبى العاتكة		٣٣٢٥
٣٨	مبشر بن عبيد		٣٣٤٢

٣٩	عيسى بن مينا	قالون	٣٣٦٠
٤٠	محمد بن على بن إسماعيل	القفال	٣٣٦١
٤١	زيد بن على		٣٣٨٦
٤٢	مالك بن دينار		٣٣٨٦
٤٣	عثمان بن نهيك	أبو نهيك	٣٣٨٦
٤٤	الربيع بن أنس		٣٣٨٧
٤٥	القاسم بن الوليد		٣٣٨٧
٤٦	الفضيل بن عياض		٣٣٩١
٤٧	سهل بن عبدالله	سهل التسترى	٣٣٩١
٤٨	عمر بن عبد العزيز		٣٤٠١
٤٩	محمد سمير عبد الرحمن بن محيصن	إبن محيصن	٣٤٠١
٥٠	طلحة بن مصرف		٣٤٠٢

ثبت المصادر والمراجع

١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبى الحسن البقاعى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢- روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى ، للإمام محمود الألوسى، أبو الفضل ، ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٣- البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، ط : دار الفكر – بيروت ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م.

٤- زاد المسير فى علم التفسير ، لعبد الرحمن على بن محمد الجوزى ، ط : المكتب الإسلامى – بيروت الثالثة ١٤٠٤هـ.

٥- جامع البيان فى تأويل آى القرآن ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبرى ، ت: أحمد محمد شاكر – ط : مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٦- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى.

٧- معالم التنزيل ، لمحى السنة ، أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى ، ت/ محمد عبد الله النمر ، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع – الرابعة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م

٨- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – ط : دار الحديث – القاهرة. الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٩- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى، ط : دار الفكر بيروت.

١٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لمحمد بن محمد الغمادى أبو السعود – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.

١١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، ت/ عبد الرزاق المهدى – ط : دار إحياء

التراث العربى – بيروت.
١٢- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى – ط : دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م.
١٣- الإتقان فى علوم القرآن ، لعبد الرحمن جلال ادين السيوطى – ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار التراث – القاهرة.
١٤- التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور – ط : مؤسسة التاريخ العربى – بيروت الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٥- التبيان فى عدد آى القرآن ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الأموى الدانى ، ت/ غانم قدورى الحمد ، ط : مركز المخطوطات والتراث – الكويت – الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٦- الكشف والبيان ، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى/ الإمام أبى محمد بن عاشور ، ط : دار إحياء التراث الغربى – بيروت، الأولى ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
١٧- التبيان فى تفسير القرآن ، لأبى جعفر محمد بن الحسين الطوسى ، ت/ أحمد حبيب قصير العاملى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.
١٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، ت/ مروان محمد الشعار – ط : دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥م.
١٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ت: د/ عبد الحميد مصطفى ، الشيخ / عبد الحميد فرغلى – ط : المكتبة القيمة – القاهرة.
٢٠- مفردات غريب القرآن ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، ت/ محمد سيد كيلانى ، ط : دار المعرفة – لبنان.
٢١- معانى القرآن ، لأبى زكريا – يحيى بن زياد ، المعروف بالفراء ت: د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، ط : الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.

٢٢- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ، ط : دار صادر – بيروت.
٢٣- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى – ط : دار الفكر بيروت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.
٢٤- اللباب فى علوم الكتاب ، لأبى حفص عمر بن على بن عادل الحنبلى ت: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ / على محمد معوض – ط : دار الكتب العلمية – بيروت أولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢٥- بصائر ذوى التمييز فى لطائف اكتاب العزيز ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى – ط : دار المكتبة العلمية – بيروت.
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن عبد الرازق الحسينى الزبيدى – ط : دار الهداية.
٢٧- سنن أبى داود ، لسليمان بن الأشعث بن شراد بن عمرو الأزدى، أبو داود ، ت: د/ عبدالقادر عبد الجبير ، ط : دار الحديث – القاهرة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٢٨- الدر المصون فى علم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف بن عبد ادائم المعروف بالسمين الحلبى ت: د/ أحمد محمد الخراط – ط : دار القلم – دمشق – الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢٩- روح البيان فى تفسير القرآن، لإسماعيل حقى بن مصطفى البروسوى، ط : دار إحياء التراث العربى– بيروت.
٣٠- مشكل إعراب القرآن ، د/ أحمد بن محمد الخراط.
٣١- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى – ط مؤسسة الرسالة – الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٢- الأعلام ، لخير الدين الزركلى – ط : دار العلم للملايين – بيروت – السابعه ١٩٨٦م.
٣٣- التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازى ، ت/ سيد

عمران، ط : دار الحديث – القاهرة.
٣٤- إعراب القرآن ، لأبى حعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، ت/د/ زهير غازى زاهد، ط : عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٣٥- الإيضاح فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى ، ت: الشيخ / بهيج عزاوى، ط : دار إحياء العلوم بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
٣٦- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمى – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – السادسة.
٣٧- البلاغة الواضحة، لعلى الجارم ، مصطفى أمين .
٣٨- المطول فى شرح تلخيص المفتاح ، لسعد الدين مسعود التفتازانى الهروى ، ط : المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.
٣٩- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين بن على بن على السبكى ، ت: د/ محمود محمد الطناحى ، د/ عبد الفتاح محمد الحلو – ط : مجد للطباعة – الثانية ١٤١٣هـ.
٤٠- طبقات المفسرين ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، ت/ على محمد عمر، ط : مكتبة وهبة – الأولى ١٣٩٦هـ.
٤١- طبقات المفسرين ، محمد بن على بن أحمد الداوودى ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٤٢- النكت والعيون ، لبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى ، ت / السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٣- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، لعبد لرحمن جلال الدين السيوطى، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط : المكتبة العصرية – بيروت.
٤٤- تهذيب التهذيب ، لأحمد على بن حجر العسقلانى – ط : دار صادر – بيروت.

٤٥- وفيات الأعيان فى أنباء أبناء الزمان ، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان – ط : دار صادر – بيروت.
٤٦- تهذيب الكمال ، ليوسف بن الزكى ، عبد الرحمن أبو الحجاج المزى ، ت: د/ بشار عواد معروف ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٤٧- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، أبو عبد الله البصرى – ط : دار صادر – بيروت.
٤٨- شرح المقاصد فى علم الكلام ، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى – ط : دار المعارف النعمانية – باكستان ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٤٩- الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد ، ت/ السيد شرف الدين أحمد – ط: دار الفكر – الأولى ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
٥٠- غاية النهاية فى طبقات القراء ، لمحمد بن محمد بن الجزرى – ط دار الكتب العلمية – بيروت – الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢.
٥١- معجم الأدباء ، لياقوت الحموى – ط : دار الفكر – بيروت – الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٥٢- التبيان فى أقسام القرآن ، لابن القيم الجوزية – ط : دار الفكر – بيروت.
٥٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لعبد الحى بن العماد الحنبلى – ط دار الفكر – بيروت – الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٥٤- المعجم الوسيط ، تأليف/ إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار – ط : دار الدعوة.
٥٥- الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى.
٥٦- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن ، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت

– الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٥٧– التبيان فى إعراب القرآن ، لمحب الدين عبد الله الحسين بن أبى البقاء العكبرى ، ت/ على محمد البجاوى – ط : دار إحياء الكتب العربية.
٥٨– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، ت/ بشار عواد معروف – ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤٠٤هـ.
٥٩– العبر من خبر من غبر ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٠– إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى ت/ أنس مهرة ، ط : دار الكتب العملية – لبنان – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٦١– السبعة فى القراءات ، لأبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادى ، ت: د/ شوقى ضيف ، ط : دار المعارف – القاهرة – الثانية ١٤٠٠هـ.
٦٢– البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، للشيخ عبد الفتاح القاضى – ط : مكتبة الكليات الأزهرية.
٦٣– النشر فى القراءات العشر ، لمحمد بن محمد بن الجزرى ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٤– حجة القراءات ، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ت/ سعيد الأفغانى – ط : مؤسسة الرسالة بيروت – الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٦٥– المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ، ت/ مصطفى عبد القادر عطا ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٦٦– الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وأيامه ، المسمى بصحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل بن المغيرة البخارى – ط : دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
٦٧– طبقات الحنفية، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد

بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي،ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.
٦٨ – حاشية الشهاب ، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، لأحمد بن محمد شهاب الدين – ط : دار صادر – بيروت.
٦٩– شرح المفصل للنحوى بن على بن يعيش ، ط: دار الطباعة الميرية – مصر.
٧٠– الحجة فى القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، ت: د/ عبد العال سالم مكرم – ط : دار الشروق – بيروت – الرابعة ١٤٠١هـ.
٧١– معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموى – ط : دار الفكر – بيروت.
٧٢– بحر العلوم ، لأبى الليث نصر بن محمد السمر قندى ، ت/ د/ محمود مطرحى ، ط : دار الفكر – بيروت.
٧٣– السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربينى، ط: دار المعرفة،بيروت – الثانية.
٧٤– الجامع الصحيح ، المسمى بسنن الترمذى ، لمحمد بن عيسى الترمذى، ت/ أحمد محمد شاكر – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت.
٧٥– المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن على الفيومى – ط : المكتبة العلمية – بيروت.
٧٦ معجم ألفاظ القرآن ، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط : الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.
٧٧– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلى المصرى ، ت/ محمد محى الدين عبد الحميد ، ط : دار التراث – القاهرة ، العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٨– همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، ت/ عبد الحميد هنداوى ، ط: المكتبة التوفيقية – القاهرة.

٧٩- البرهان فى علوم القرآن ، لبدر الدين محمد عبد الله الزركشى ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى – الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.
٨٠- التعريفات ، لعلى بن محمد بن على الجرجانى ، ت/ إبراهيم الإبيارى – ط: دار الكتاب العربى – بيروت الأولى ١٤٠٥هـ.
٨١- أساس البلاغة ، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى – ط : دار صادر – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٨٢- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المنازى ، ت: د/ محمد رضوان الداية ، ط : دار الفكر – دمشق – الأولى ١٤١٠هـ.
٨٣- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصارى ت: د/ مازن المبارك ، ومحمد على حمد الله ، ط : دار الفكر – بيروت – السادسة ١٩٨٥م.
٨٤- مشكل إعراب القرآن ، لمكى بن أبى طالب القيسى ، ت: د/ حاتم صالح الضامن ، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤٠٥هـ.
٨٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى – ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الرابعة ١٤٠٥هـ.
٨٦- لباب النقول فى أسباب النزول ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى – ط مكتبة الصفا – القاهرة – الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٨٧- مسند أحمد بن حنبل الشيبانى – ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٨٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى – ط : دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ.
٨٩- لباب التأويل فى معانى التنزيل ، لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن.

ثبت الموضوعات

← المقدمة ، وتشتمل على:-
١- منهاج البحث والدراسة.
٢- خطة البحث والدراسة.
← التمهيد ، ويشتمل على:-
١- مناسبة السورة لما قبلها.
٢- نوع السورة.
٣- أسماء السورة.
٤- عدد حروف كلمات وترتيب السورة فى المصحف.
٥- عدد آيات السورة.
٦- أغراض السورة وما تشتمل عليه.
← المبحث الأول:- القسم والمقسم عليه من خلال السورة الكريمة ، وفيه مطالب:
المطلب الأول: المفردات اللغوية
المطلب الثانى: الإعراب
المطلب الثالث: البلاغة
المطلب الرابع: البيان والتفسير
المطلب الخامس: أقوال العلماء فى تحديد جواب القسم
المطلب السادس: من لطائف الآيات
المطلب السابع: المعنى الإجمالى للآيات
المطلب الثامن: ما ترشد إليه الآيات
← المبحث الثانى:- إثبات البعث وبيان موقف المشركين منه وفيه، مطالب:
المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها
المطلب الثانى: المفردات اللغوية
المطلب الثالث: البلاغة

المطلب الرابع: القراءات

المطلب الخامس: البيان والتفسير

المطلب السادس: المعنى الإجمالى للآيات

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات

← المبحث الثالث: قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون ، وفيه مطالب:-

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثانى: المفردات اللغوية

المطلب الثالث: الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس: البيان والتفسير

المطلب السادس: من لطائف الآيات

المطلب السابع: المعنى الإجمالى للآيات

المطلب الثامن: ما ترشد إليه الآيات

← المبحث الرابع: إقامة الأدلة على إثبات البعث وبيان بعض قدرة الله – عز وجل – ونعمه على خلقه ، وفيه مطالب:-

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثانى: المفردات اللغوية

المطلب الثالث: الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس: البيان والتفسير

المطلب السادس: من لطائف الآيات

المطلب السابع: المعنى الإجمالى للآيات

المطلب الثامن: ما ترشد إليه الآيات

← المبحث الخامس:- الحديث عن أهوال يوم القيامة ، وبيان أحوال الناس

وجزاؤهم فيه ، وفيه مطالب:-

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثانى: المفردات اللغوية

المطلب الثالث: الإعراب

المطلب الرابع: البلاغة

المطلب الخامس: القراءات

المطلب السادس: البيان والتفسير

المطلب السابع: من لطائف الآيات

المطلب الثامن: المعنى الإجمالى للآيات

المطلب التاسع: ما ترشد إليه الآيات

← المبحث السادس: الحديث عن سؤال المشركين عن الساعة وميقاتها ، وبيان استئثار الله بعلمها وفيه ، مطالب:-

المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثانى: سبب نزول الآيات

المطلب الثالث: المفردات اللغوية

المطلب الرابع: الإعراب

المطلب الخامس: البلاغة

المطلب السادس: القراءات

المطلب السابع: البيان والتفسير

المطلب الثامن: من لطائف الآيات

المطلب التاسع: المعنى الإجمالى للآيات

المطلب العاشر: ما ترشد إليه الآيات

← الخاتمة ← ثبت الأعلام

← ثبت المصادر والمراجع ← ثبت الموضوعات